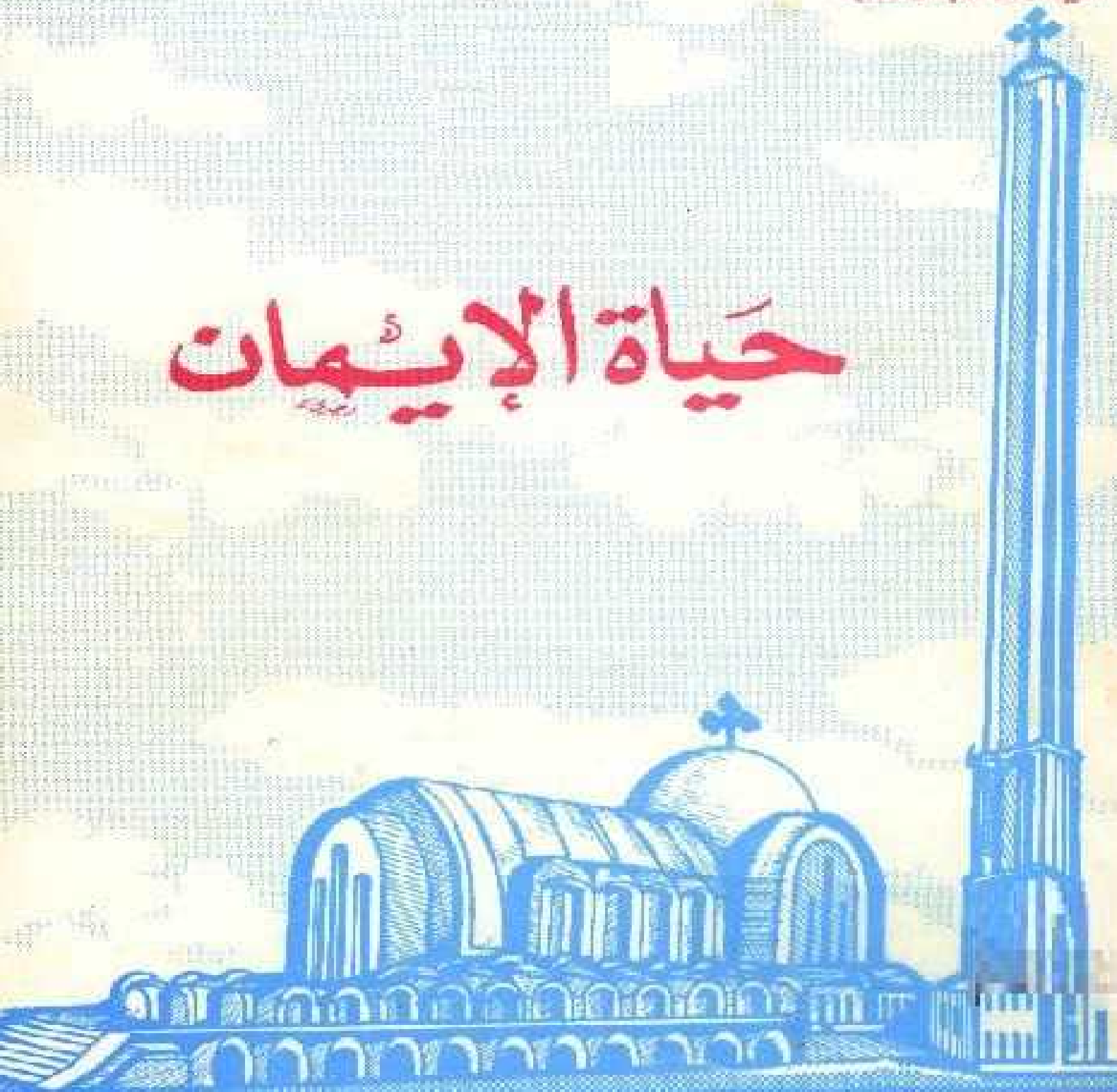


بأياتنوره الثالث

سلطنة

الإيمان والرجاء والمحبة

حياة الإيمان



الكتاب

فهرست

صفحة	
٦	قصة هذا الكتاب
٧	مقدمة
٩	الفصل الأول : ما أعظم الإيمان
١٣	الفصل الثاني : ما هو الإيمان
٢١	الإيقان بأمور لا ترى
٣٥	الفصل الثالث : درجات وأنواع من الإيمان
٤٧	الفصل الرابع : علاقة الإيمان بالسلام وعدم الخوف
٥٧	الفصل الخامس : علاقة الإيمان بنقاوة القلب
٦٣	الفصل السادس : بساطة الإيمان
٦٩	الفصل السابع : طاعة الإيمان أوحياة التسليم
٧٩	وهو لا يعلم إلى أين يذهب
٨٣	الفصل الثامن : ما يقوى الإيمان
٩٣	الفصل التاسع : ما يضعف الإيمان
١٠٥	الفصل العاشر : إختبار الإيمان (هل أنتم في الإيمان)

قصة هذا الكتاب

إنه ثمرة أكثر من ١٥ محاضرة ألقىتها في الكاتدرائية المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة (ماعدًا الثلاث محاضرات الأولى). وقد حان الآن نشرها بناء على دعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي قرر عقد اجتماع عن الإيمان في منتصف سبتمبر ١٩٨٤.

أما هذه المحاضرات - مصدر هذا الكتاب - فهي حسب تواريخها كالتالي :
١ - محاضرة ألقىتها في مؤتمر عن الإيمان عقد في كنيسة المنصورة يوم ١٩٦٦/٦/١.

٢ ، ٣ - محاضرتان عن الإيمان ألقىتهما في القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس يومى الجمعة ١٩٦٦/٧/٨ ، ١٩٦٦/٧/١٥.

٤ - ٧ - أربع محاضرات ألقىتها في الكاتدرائية الكبرى سنة ١٩٧١ تاملًا في « كما قسم لكل واحد نصيباً من الإيمان » (رو ١٢ : ٣) .
٨ - محاضرة عن الإيمان ألقىتها في الكاتدرائية الكبرى في أواخر مايو سنة ١٩٧٣ بمناسبة عودة رفات القديس أنثاسيوس إلى القاهرة .

٩ - محاضرة عن عوائق الإيمان ألقىتها يوم الجمعة ١٩٧٥/٥/٢٣ .
١٠ - محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/٢/٢٢ ، موضوعها (ناظرين إلى ما لا يرى) .
١١ - محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/٧/٢٥ ، موضوعها (بساطة الإيمان) .
١٢ - محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/٩/٢٦ ، موضوعها (لا يعلم إلى أين يذهب) .
١٣ - محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/١٠/٣ ، موضوعها (الإيقان بأمر لا ترى) .
١٤ - محاضرة يوم الجمعة ١٩٨١/٨/١٤ ، موضوعها (طاعة الإيمان) .
١٥ - محاضرات متفرقة نشرت في مجلة الكرازة .

وقد سجلت هنا هذه التواريخ لمن يريد أن يحصل على التسجيلات الصوتية الخاصة بحياة الإيمان، راجياً للقارىء العزيز حياة مملوءة بالإيمان.

البابا شنودة الثالث

مقدمة

ليس الإيمان هو مجرد اعتناق مجموعة من العقائد ، تتلوها في «قانون الإيمان» ... إنما الإيمان هو حياة تحياها أو هو عقيدة تقود إلى حياة ...

لأنه ما فائدة الإيمان بالله ، بدون أن تكون لك علاقة بهذا الإله : تطيعه وتحبه ، وتكون لك عشرة معه توهلك إلى عشرة دائمة في ملكوته؟! وما فائدة الإيمان بالأبدية والحياة بعد الموت ، إن لم تعد نفسك لها بالتوبة ، وبالسهر الروحي الدائم ، وبمحبة الله . وما فائدة الإيمان بالفضيلة ، إن كنت لا تحياها .

لذلك فإن هناك فرقاً كبيراً جداً بين الإيمان النظري الذي لا يخلص النفس ، والإيمان العملي الذي تظهر ثماره في حياتك . وهكذا تحيا حياة الإيمان ...

إننا من أجل حياة الإيمان ، وضعنا كتابنا هذا ... نشرح لك ما هو الإيمان ، وما هي درجاته وأنواعه ، وما أهمية الإيمان في حياتنا ، وما عظمتة ...؟

ولقد أردنا أن نقف قليلاً عند قول القديس بولس الرسول : «جربوا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم» (٢ كو ١٣ : ٥) .

فليس كل إنسان يقول إنه مؤمن ، هو مؤمن بالحقيقة . بل المقياس لذلك هو قول الرب «من ثمارهم تعرفونهم» (متى ١٦ : ٧) . لأن هناك من له إسم المؤمن ، وليس له قلب المؤمن ، ولا حياة المؤمن . فما هي حياة المؤمن هذه ؟

حياة الإيمان ترتبط بالسلام والاطمئنان وعدم الخوف . فإن وقع في الخوف ، يقول له الرب «يا قليل الإيمان ، لماذا شككت» (متى ١٤ : ٣١) .

وحياة المؤمن ترتبط بنقاوة السيرة ، لأن المؤمن يشعر دواماً أن الله أمامه يرى ويسمع ويسجل كل ما يعمل . لذلك يشعر بالإستحياء ، ويخاف أن يخطيء أمام الله .

وحياة المؤمن هي حياة التسليم للمشيئة الإلهية ، في إيمان كامل أن الله هو صانع الخيرات ، وكل ما يسمع به هو خير . لذلك بالإيمان يعيش أولاد الله في هدوء وفي فرح وفي رضى بكل ما يريد الرب لهم .
وحياة الإيمان ، لا ترى شيئاً مستحيلاً على الرب . بل كما يقول :
« كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

لذلك فإن المؤمن لا يهتز في أية ضيقة تحمل به ، بل يؤمن تماماً أن الله عنده حلول كثيرة ، وأنه لا بد سيتدخل ويصنع مشيئته ...
المؤمن لا يجادل الله ولا يناقشه فيما يفعله ، بل يقبل كل شيء بثقة كاملة في حكمة الله وفي محبته .

المؤمن ينظر دائماً إلى ما لا يرى ، أكثر مما ينظر إلى المرئيات «لأن الأشياء التي تُرى وقتية ، أما التي لا ترى فأبدية» (٢ كو ٤ : ١٨) .

إن أبطال الإيمان ليسوا هم فقط الذين دافعوا عن العقيدة ، وإنما هم الذين عاشوا في الإيمان الحى المثمر العامل بالمحبة ...

وهذا الكتاب الذى بين يديك يعطيك فكرة مبسطة عن حياة الإيمان كيف تكون ؟ وكيف تختبر عملياً هل أنت في الإيمان .

البابا شنودة الثالث

الفصل الاول

ما أعظم الإيمان

لعل أهمية الإيمان تبدو واضحة في قول الرسول عن الرب :
« بدون إيمان ، لا يمكن إرضاءه » (عب ١١ : ٦) .

وتبدو أهمية الإيمان أيضاً ، في أن الرسول قد وصفه بأنه إحدى الفضائل الثلاث الكبار « الإيمان والرجاء والمحبة » (١ كو ١٣ : ١٣) ، وذكر أنه الوسيلة التي يجيها بها الإنسان البار فقال :

« أما البار ، فبالإيمان يجيها » (عب ١٠ : ٣٨) .

والإيمان هو بدء الطريق الموصل إلى الله . لأنه كيف يمكن أن تثبت في الله ، والله فيك ، وكيف يمكنك أن تسير مع الله وتحفظ وصاياه ، إن لم تؤمن أولاً بوجوده وبصفاته الإلهية ، وتؤمن بكتابه وبكل ما ورد فيه ... ؟

الإيمان إذن هو بدء الطريق إلى الله . وأول الشروط اللازمة للخلاص حسب قول الرب نفسه « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) ، « لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) ، « الذي يؤمن به لا يدان ، والذي لا يؤمن به قد دين ... » (يو ٣ : ١٨) . وكما ويخ اليهود قائلاً : « إن لم تؤمنوا أني أنا هو ، تموتون في خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) .

إن دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص كل أحد . ولكنه لا يخلص بدون إيمان . ولهذا قال القديسان بولس وسيلبا لحافظ السجن في فيلبي « آمن بالرب يسوع ، فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) .

من أجل هذا الإيمان كتبت الأناجيل ، وكرز بها الرسل . وهكذا يقول القديس يوحنا الإنجيلي فيما كتبه بوحى من الروح القدس « ... أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله ، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة بإسمه » (يو ٢٠ : ٣١) .

الإيمان هو بدء الحياة مع الله ، وهو رفيق الطريق طول هذه الحياة ، لذلك من أهمية الإيمان علاقته بالبر .

وهكذا يتحدث الرسول عن البر الذي حُسب بالإيمان (عب ١١ : ٧) ، وعن الإيمان الذي حُسب برأ (يع ٢ : ٢٣) .
ويتحدث الكتاب عن التبرير بالإيمان (رو ٥ : ١) .

والإيمان هو العنصر الأساسى اللازم لصنع المعجزات ، ولتقبلها :
لهذا ما أعظم قول الرب لأعمى أريحا بارتيشاوس : «إيمانك قد شفاك» (لو ١٨ : ٤٢ ، مر ١٠ : ٥٢) . وما أجل قوله لذلك الأبرص الذى طهر «إيمانك خلصك» (لو ١٧ : ١٩) . وهكذا قال أيضاً لنازفة الدم «ثقي يا إبنة ! إيمانك قد شفاك» (متى ٩ : ٢٢) . كذلك فإنه لما سمع الأعميين اللذين صرخا «إرحنا يا ابن داود» ، قال لهما : «بحسب إيمانكما ليكن لكما» فانفتحت أعينها (متى ٩ : ٢٩) .

ومن الناحية الأخرى ، نرى أن السيد الرب لما جاء إلى وطنه « لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم» (متى ١٣ : ٥٨) .

إن قوة الله قادرة أن تصنع معك الأعاجيب . ولكنها تنتظر إيمانك .
وحسب إيمانك يعطيك . ولهذا فإن المعجزات تحدث مع البعض ، ولا تحدث مع البعض الآخر، مع أن قوة الله هى هى .

ولكن ماذا عن الشخص ضعيف الإيمان ؟ هذا عليه أن يصلى مع أبى الولد الذى عليه روح الأخرس قائلاً : «أؤمن يا سيد . فأعن عدم إيماني» (مر ٩ : ٢٤) . وهنا نقول إنه فى غالبية الأحوال يصنع الله المعجزة بحسب الإيمان ، ولكن...

فى أحيان أخرى يصنع المعجزة لكى تؤمن .
وهكذا فى الحالين ، يرتبط الإيمان بالمعجزة : فإما أن يكون سابقاً لها ، وإما أن يكون نتيجة لها ...

إن الإيمان - أبياً كان نوعه - هو قوة .
يكفى أن يؤمن الإنسان بفكرة ، فتراه يعمل بقوة المسيح لكى ينفذها . الإيمان يعطيه عزيمة وإرادة وجرأة ما كانت عنده من قبل .

حقاً حيثما يوجد الإيمان ، توجد معه القوة . فالصلاة المملوءة إيماناً ، هي الصلاة القوية . الذى يؤمن بالصلاة وفاعليتها ، تراه يصلى بحرارة وإيمان وقوة . والعظة التى يقولها إنسان وهو مؤمن بكل كلمة فيها ، تكون عظة قوية ، ينتقل بها إيمانه إلى قلوب الناس .

ومن أهمية الإيمان أيضاً إرتباطه بعدد من الفضائل ، تنبع منه :
فن نتائج الإيمان القوة ، والطمأنينة ، والشجاعة ، والسلام القلبي ، وعدم الخوف ، وعدم القلق .
ومن ثماره أيضاً : حياة النقاوة والبر ، وحياة التسليم الكامل لله ، وحياة التجرد والزهد ، وحياة الصلاة... وفضائل عديدة أخرى
ونحن نعدك أيها القارىء العزيز ، أننا لا ننهى من هذا الكتاب ، حتى نحدثك عن هذا كله بمشيئة الله .

أما الآن فنريد أن نسأل : ما هو هذا الإيمان ؟
ما هو هذا الإيمان ، الذى من نتائجه الخلاص والتبرير ؟
وما هو هذا الإيمان ، الذى من نتائجه كل هذه الفضائل ؟
وما هو هذا الإيمان ، الذى يقدر على صنع الآيات والعجائب ، الذى قال عنه الرب : « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

الفصل الثاني

ها هموا الإيَّمان

الايقان بامور لا ترى

«جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان ...
إمتحنوا أنفسكم» (٢ كو ١٣ : ٥) .

ما هو الإيمان ؟

كلمة إيمان قد يدعيها كل إنسان يعبد الله ...

وربما لا يكون مؤمناً بالحقيقة ...

قد يكون له إسم المؤمن ، ولكن ليس له قلب المؤمن .

ليس الإيمان هو أن يولد الإنسان من أسرة متدينة تؤمن بوجود الله ، فيصير مؤمناً تلقائياً بوجود الله . إنما الإيمان له معنى أو معانٍ أعمق من هذا بكثير... نعم له معنى قد يشمل الحياة الروحية كلها ، وله معنى قد يصنع الأعاجيب .

في إحدى المرات لم يستطع تلاميذ الرب أن يخرجوا شيطاناً من إنسان مصروع ، فسألوا الرب عن سر ذلك فقال لهم « لعدم إيمانكم » (متى ١٧ : ٢٠) ... ووبخ الجمع قائلاً : « أيها الجليل غير المؤمن ، الملتوى » (متى ١٧ : ١٧) .

ليكن ذلك الجليل غير مؤمن . ولكن رسل المسيح نفسه ، أتطلق عليهم حينذاك عبارة « عدم إيمانكم » ؟ ... يا للهول . وهنا يستطرد المسيح قائلاً لتلاميذه : « الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل : إنتقل من هنا إلى هناك . فينتقل » (متى ١٧ : ٢٠) .

حقاً ، ما هو هذا الإيمان ، الذي حبة خردل منه ، تستطيع أن تنقل الجبل ؟! ...

لذلك حسناً قال الرسول : « إختبروا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) .

على أن الكتاب يروى لنا شيئاً عجيباً ... أخطر من هذا بكثير... فما هو؟ إنه حال إنسان يبدو مؤمناً بالرب ، ويصلى ، ويصنع المعجزات ، وهو غير مؤمن بالحقيقة! بل غير مقبول أمام الله! هوذا الرب نفسه يقول :

« ليس كل من يقول لي يارب يارب ، يدخل ملكوت السموات ... »

(متى ٧ : ٢١) .

ويتابع الرب كلامه قائلاً : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

ماذا نسعى هؤلاء الذين يقولون يارب يارب ... باسمك صنعنا كذا وكذا...؟
أهم مؤمنون بالحقيقة!؟

ربما يكون هذا إيماناً ظاهرياً ، أو إيماناً شكلياً ، أو إيماناً بالإسم ، أو مجرد إيمان عقلى ، ولكنه ليس إيماناً حقيقياً مقبولاً أمام الله !

فما هو إذن الإيمان الحقيقى المقبول أمام الله؟ نسأل الرب فيجيب :
« ليس كل من يقول لى يارب يارب ... بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات (متى ٧ : ٢١) . ويذكرنا هذا أيضاً بقصة العذارى الجاهلات اللاتى استعملن أيضاً عبارة يارب يارب . ووقفن وراء الباب المغلق يقلن : ياربنا ياربنا افتح لنا . فسمعن منه تلك الإجابة الصريحة المرعبة «الحق أقول لكن إني ما أعرفكن» (متى ١٢ : ٢٥) .

إن عبارة يارب لا تفيد مطلقاً ، إن كنت تنتظر العريس بمصباح لا زيت فيه ، أو إن جئت بعد أن أغلق الباب ...

ما هو الإيمان إذن ؟ وما علاقته بالزيت الذى يرمز إلى الروح القدس ، وإلى المسحة المقدسة؟ وما علاقته بمشيئة الآب الذى فى السموات؟
إنه هذا الإيمان الحى ، المقبول من الله ، كما سنشرح بالتفصيل فيما بعد...

إذن الإيمان ليس مجرد عقيدة ، إنما هو أيضاً حياة .
يمكن أن تختبره بشماره فى حياتك ... فهكذا قال الرب « من ثمارهم تعرفونهم... كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة... لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية . ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة . فإذا من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ : ١٦-٢٠) .

بهذا تختبر نفسك : هل إيمانك له ثمر؟ لأنه من ثمارهم تعرفونهم .

وهكذا يعلمنا القديس يوحنا الحبيب : « بهذا نعرف أننا قد عرفنا ... » ، كيف ؟
« إن حفظنا وصاياه » ، « من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس
الحق فيه ... » (١ يو ٢ : ٣ ، ٤) ... إذن الإيمان يختبر بحياة الطاعة لوصايا الله . والذي لا
تكون له هذه الطاعة لا يعتبر مؤمناً بالحقيقة . بل لا نقول عنه إنه قد عرف الله ...
إن هناك وسائل كثيرة لاختبار الإيمان ، سنحدثك عنها في باب خاص .

والقديس بولس الرسول يقدم لنا قائمة رائعة لرجال الإيمان في رسالته إلى
الغلاطيين (عب ١١) . وكلهم من ذلك النوع الذي ظهر الإيمان في حياته الخاصة ...
مثل أبينا أخنوخ الذي لم يقل الكتاب عنه إنه دافع عن عقيدة معينة ،
كالقديس أثناسيوس الرسول الذي دافع عن العقيدة ضد الأريوسية ، أو كالقديس
كيرلس الكبير الذي دافع عن العقيدة ضد النسطورية ، ومثل باقي أبطال الإيمان في
العقيدة ...

إنما كان أخنوخ من أبطال الإيمان ، لأنه « أرضى الله » (عب ١١ : ٥) .
أو كما قال سفر التكوين « وسار أخنوخ مع الله » (تك ٥ : ٢٢ ، ٢٤) .

وأنت قد لا تكون لاهوتياً عميقاً في المعرفة مثل القديس أثناسيوس أو القديس
كيرلس . ولكنك بلا شك في إمكانك أن تحيا في منهج أبينا أخنوخ الذي سار مع
الله . وأن تحيا مثل باقي رجال الإيمان الذين ذكرهم القديس بولس الرسول الذين
« أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... وكانوا يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً »
(عب ١١ : ١٣ ، ١٦) .

لقد كان أبونا إبراهيم من رجال الإيمان ، لأنه « لما دعى أطاع » (عب ١١ :
٨) ، فخرج وراء الله « وهو لا يعلم إلى أين يذهب » . وحسب من رجال الإيمان ،
لأنه صدق مواعيد الله حتى وهو يقدم ابنه وحيداً ، واثقاً أن الله قادر على الإقامة من
الأموات (عب ١١ : ١٧ - ١٩) .

ووضعت زوجته ساره في قائمة أبطال الإيمان ، لأنها صدقت قول الرب « إذ
حسبت الذي وعد صادقاً » (عب ١١ : ١١) .

إذن ليس أبطال الإيمان هم فقط أبطال الدفاع عن العقيدة ، إنما أيضاً

أولئك الذين صدقوا الرب، وأرضوه، وساروا معه، وصنعوا برأ (عب ١١: ٣٣).

وأيضاً أولئك الذين « عذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكى ينالوا قيامة أفضل » ،
وأولئك الذين « طافوا فى جلود غنم وجلود ماعز، معتازين مكروبين مذلين ،
« تائهين فى برارى وجبال ومغائر وشقوق الأرض ،
« وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم » (عب ١١ : ٣٥-٣٨).

هؤلاء كلهم كانوا مشهوداً لهم بالإيمان (عب ١١ : ٣٩) .

فى كل هذا يعطينا الكتاب معنى واسعاً لكلمة الإيمان .

ومعلمنا .القديس بولس الرسول يقول لنا فى معنى الإيمان هذا :

« الإيمان هو الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمر لا ترى » (عب ١١ : ١) .

وعبارة أمور لا ترى هى عبارة واسعة جداً ، سندخل فى تفاصيلها بعد حين إن شاء الله . ولكننا نقول كمثال : أنت ترجو أشياء كثيرة بعد الموت . ترجو حياة أخرى دائمة ، وعشرة مع الملائكة والقدسين . وترجو رؤية الرب فى الفردوس . وترجو القيامة من الموت بمجد روحانى غير قابل للفساد (١ كو ١٥) . وترجو النعيم الأبدى بعد القيامة العامة . وأنت تثق بوجود كل هذه الأمور، ثقة يقينية كاملة لا شك فيها ، دون أن ترى من كل ذلك شيئاً... إنه الإيمان .

الإيمان فوق مستوى الحواس :

وهنا نرى أن الإيمان يرتفع فوق مستوى الحواس :

إنه لا يتعارض مع الحواس ، إنما هو مستوى أعلى من مستوى الحواس . وهو قدرة أعلى من قدرة الحواس التى لها نطاق معين لا تتعداه . فالحواس المادية تدرك الماديات . غير أن هناك أشياء غير مادية ، تخرج عن نطاق قدرة الحواس المادية . وحتى قدرة الحواس بالنسبة للأشياء المادية ، هى محدودة أيضاً . وكثيراً ما تستعين الحواس بعدد من الأجهزة لمعرفة أشياء مادية أدق من أن تدركها حواسنا الضعيفة . فكم بالحرى إذن الأمور غير المادية ، التى قال عنها الرسول إنها « أمور لا ترى » ؟!

إن ما يرى بالعين المادية يدخل في نطاق (العيان) وليس الإيمان (٢ كو ٥ : ٧). فالروح مثلاً لا ترى ولا تدرك بالحواس المادية . سواء كانت روح بشر أو ملائكة . وعدم إدراك الحواس لها لا يعنى عدم وجودها . إنما يعنى أن قدرة الحواس محدودة . لها نطاق معين تعمل فيه لا يصل إلى مستوى الروح .

والله روح (يو ٤ : ٢٤) . لذلك فإنه لا يدرك بالحواس المادية . لذلك فإننى عجبت من رائد الفضاء الذى قال إنه صعد إلى السماء ولم ير الله ! وقد ظن في تهكمه أنه يمكن أن يرى الله بهذه العين الجسدية القاصرة التى لا ترى كثيراً من الماديات ! كما أن الله في كل مكان ، في الأرض وفي السماء وما بينهما ، ولا يحده مكان . فإن كان لم ير الله على الأرض ، فلن يراه أيضاً في السماء ، ولا في أى موضع آخر ، لأن الله لا يُرى إلا بالإيمان ... تراه بالروح (١ كو ٢ : ١٠) .

عدم رؤيتك لله بعينك ، لا يعنى أن الله غير موجود . إنما تفسير ذلك هو أن عينك قاصرة . ومنها قويت ، فإن لها نطاقاً محدوداً تعمل فيه ، هو نطاق الماديات . ولذلك قلنا إن الإيمان أعلى من مستوى الحواس .

في العهد القديم ، كان مستوى الناس ضعيفاً ، فكان تأثير الحواس في الدرجة الأولى والأهم ، لذلك كان الله يظهر لهم في السحاب والضباب والنار .

لقد كلمهم من على الجبل وسط البروق والرعود ، والجبل يدخن ، وقد صعد دخانه كدخان الأتون . وارتجف كل الجبل جداً . وكان سحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد ، فارتعد كل الشعب الذى في المحلة (خر ١٩ : ١٦ - ١٨) . وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا خائف ومرتعذ (عب ١٢ : ٢١) .

بهذا الأسلوب كانوا يفهمون قوة الله وأهمية الوصية المعطاة لهم . أما في حياة الإيمان ، فإن القلب يفهم قوة الله في غير حاجة مطلقاً إلى هذا الإعتماد الكبير على الحواس . إن الإيمان مستوى أعلى من الحواس ، لا يعتمد عليها ، ولا يحتاج إليها .

والإيمان مستوى أعلى من العقل :

إن العقل قد يوصلك إلى بداية الطريق . أما الإيمان فيكمل معك الطريق إلى أقصاه . الإيمان لا يتعارض مع العقل . ولكنه يتجاوزه إلى مراحل أبعد بما لا يقاس ، لا يستطيع العقل بمفرده أن يصل إليها .

وما لا يدركه العقل ، نسميه « غير المدرك » . ونحن نصف الله بأنه « غير مدرك » . لأنه أيضاً غير محدود . بينا العقل البشري محدود ، ولا يدرك سوى الأمور المحدودة ، التي تدخل في نطاقه . العقل يستطيع أن يوصلك إلى مجرد معرفة الله ، وإلى بعض صفاته . ولكن بالإيمان « الروح يفحص كل شيء ، حتى أعماق الله » (١ كو ١٠ : ٢) . وبالنسبة إلى المؤمن ، يكشف الله له ذاته . أو يكشف له ما تحمل الطبيعة البشرية أن تدركه ...

العقل قد لا يدرك أشياء كثيرة ، ولكنه يقبلها .

العقل ليس من طبيعته أن يرفض كل ما لا يدركه . بل حتى في المحيط المادى في العالم الذى نعيش فيه ، توجد مثلاً مخترعات كثيرة لا يدركها إلا المتخصصون . ومع ذلك فالعقل العادى يقبلها ، ويتعامل معها ، دون أن يدرك كيف تعمل ، وكيف تحدث . والموت يقبله العقل ، ويتحدث عنه ، ومع ذلك فهو لا يدركه ، ولا يعرف كيف يحدث .

فإن كان العقل يقبل أموراً كثيرة في عالمنا ، وهو لا يدركها . فطبيعى لا يوجد ما يمنعه من قبول أمور أخرى أعلى من مستوى هذا العالم .

العقل لا يدرك (المعجزة) كيف تتم . ولكنه يقبلها ويطلبها ، ويفرح بها . لقد سميت المعجزة معجزة ، لأن العقل يعجز عن إدراكها وعن تفسيرها . ولكنه يقبلها بالإيمان ... الإيمان بوجود قوة غير محدودة ، أعلى من مستواه ، يمكنها أن تعمل ما يعجز العقل عن إدراكه . وهذه القوة هى قوة الله القادر على كل شيء .

إننا نحترم العقل . ولكننا في نفس الوقت ندرك حدود النطاق الذى يعمل فيه . ولا نوافق العقل المغرور الذى يريد أن يعى كل شيء ، رافضاً كل ما هو فوق مستوى إدراكه .

ينبغي للعقل أن يتضع ، ويعرف مستواه ، « ولا يرتشى فوق ما ينبغي » (رو ١٢ : ٣) . وفي الأمور التي هي فوق إدراكه ، يجب أن يسلم قياده للإيمان .

أما إن أراد العقل أن يحطم كل ما لا يدركه ، فإنه سيحطم نفسه أخيراً ، ويفقد الإيمان . ويحصر نفسه في دائرة ضيقة جداً ، هي دائرة إدراكه المحدود .

والذين يسلكون هكذا ، إعتاد البعض أن يسميهم (العقلانيون) ، لأنهم يعتمدون على العقل وحده ، دون الإيمان ودون الروح !

إن العاقل يمكنه أن يصل إلى الله . أما العقلاني فلا يصل .

والمؤمنون عاقلون ، ومحترمون العقل ، ويستخدمونه أيضاً في الأمور الدينية واللاهوتية . ويوجد بين المؤمنين فلاسفة وحكماء وأشخاص على مستوى عالٍ من الفكر والذكاء . ولكنهم على الرغم من كل هذا ، لا يمزجون العقل بالغرور ، ولا يثقون بقدرة العقل على إدراك كل شيء . وإنما في بساطة واتضاع ، يعترفون أن عقولهم محدودة ، وقاصرة عن إدراك كل ما يحيط بالله غير المدرك ... وبالإيمان تقبل قلوبهم وعقولهم ما هو فوق مستوى العقل ...

العقل البسيط المتواضع ، هو الذي يقبل الإيمان ، والمعجزة .

نقصد بعبارة (المتواضع) إنه لا يعتز بإدراكه الخاص . ولا يحطم كل ما هو فوق إدراكه . ونقصد بعبارة (البسيط) ، العقل الذي لا يعقد الأمور ، ولا يصر على إدخال كل شيء في حدود معاملة ومقاييسه الخاصة .

ولعلنا سنعود إلى هذه النقطة ، حينما نتحدث عن (بساطة الإيمان) .

الإيمان ليس هو مجرد تلاوة قانون الإيمان ، إنما هو حياة نحيها .

إن كنت تحيا في الإيمان ، والإيمان له ثماره في حياتك العملية ، فإنك تستطيع أن تختبر إيمانك بالفضائل التي تبدو واضحة في حياة المؤمن ، وهي عديدة ... وبها تنفذ قول الرسول « إمتحنوا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟ إختبروا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) .

الإيقان بأمر لا ترى

قال الرسول في معنى الإيمان إنه « الثقة بما يرحى ، والإيقان بأمر لا ترى »
(عب ١١ : ١) . ونود أن نعرف تفسير هذه العبارة .

الإيقان :

أى التأكيد الشديد ، والثقة ، والعقيدة التى لا تعرف شكاً . ليس الأمر مجرد فكر أو رأى ، أو معلومات نتيجة قراءة أو سماع . إنما يقين أكيد بوجود هذه الأمور التى لا ترى .

وهنا يبدو الفرق بين رجال الإيمان ، ورجال البحوث العلمية . أصحاب البحوث العلمية ، لا تدخل فى نطاق عملهم كل تلك الأمور التى لا ترى . وهم لا يكونون فى حالة يقين من شىء إلا إذا فحصوه تماماً بكل أجهزتهم ومقاييسهم العلمية . وعلى نفس هذا المنهج كل أصحاب المذاهب المادية .

أما المؤمنون فهم ليسوا كذلك . إنهم يتبعون قول الرب « طوبى لمن آمن دون أن يرى » (يو ٢٠ : ٢٩) .

المؤمن يقبل مثلاً فكرة الخلق من العدم . أما الباحث العلمى ، فترفض أبحاثه هذا الأمر ، كما ترفض أيضاً أن يشيع من خمس خبزات خمسة آلاف رجل (غير النساء والأطفال) ، وتفيض عنهم إثننا عشرة قفة مملوءة . أما المؤمن فيقبل كل هذا ...

المؤمن يقبل أولاً فكرة الله القادر على كل شىء . ثم فى دائرة يقينه من جهة هذه القدرة غير المحدودة ، يقبل كل شىء ...

وهكذا يريح نفسه من شكوك غير المؤمن ومن بحوثه وفحوصه الكثيرة . وهو ليس فقط يقبل ما لا يرى ، ويكون موقناً بوجود غير المرئيات ، بل إنه أكثر من هذا يعايش ما لا يرى ، ويركز فيه كل تفكيره وكل عواطفه ، حسبما قال الرسول « غير ناظرين إلى الأمور التى ترى ، بل إلى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية . أما التى لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨) .

ولعلك تسأل : كيف ننظر ما لا يرى ؟ فأقول بالإيمان .
ما هي إذن هذه الأمور التي لا ترى ؟ لعل في مقدمتها الله نفسه ، وصفاته ،
وعمله ، وكل ما يتعلق به .

١ - الله ، وصفاته ، وعمله :

إن الله لا يُرى ، وقد قال القديس يوحنا الإنجيلي : « الله لم يره أحد قط... »
(يو : ١ : ١٨) . حقاً من يستطيع أن يرى اللاهوت؟! لا أحد . ومع ذلك فأنت
تؤمن به من كل قلبك ، وبكل ثقة . ولا يعتمد هذا الإيمان مطلقاً على الحواس . أو
قل إنك تراه بتلك الحواس الروحية المدربة (عب ٥ : ١٤) . تلك الحواس غير
المادية التي تدربت أن ترى ما لا يرى . ولنا أمثلة على ذلك من الكتاب :

يقول داود النبي « تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن
يمينى فلا أترزع » (مز ١٥) . فكيف رأى الرب أمامه وعن يمينه كل حين ؟ لا
شك أنه رآه بعين الإيمان . وفي بعض الترجمات يقول « جعلت الرب أمامي كل
حين » . أى أنه ناظر إليه باستمرار ، ناظر إلى ما لا يرى ، مركزاً فيه فكره وشعوره .

وبنفس المعنى يقول إيليا النبي « حى هو رب الجنود الذى أنا واقف
أمامه » (١ مل ١٨ : ١٥) . فكيف شعر أنه واقف أمام الرب ؟ وكيف كان يرى
الرب أمامه في كل حين ؟ ... ليس بالحواس الجسدية طبعاً ، لأن الحواس الجسدية
ليست هي التي تحرك قلب المؤمن . بل إن الرب أمامه بالإيمان . وهو بالإيمان يرى
ما لا يرى .

إن كنت في الإيمان ، فلا بد ستثق إن الله أمامك في كل حين ،
وتتصرف وفق هذا الإيمان : إنه يراك ويسمعك ...

وإن عشت في الإيمان ، فستثق أن الله في وسط شعبه ، حسب وعده الصادق
« ... هناك أكون في وسطهم » (متى ١٨ : ٢٠) ، « ها أنا معكم كل الأيام وإلى
انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . إنك لست تراه بعينك الجسدية ، ولكنك تؤمن
تماماً أنه في وسطنا . لست محتاجاً أن ترى بعينيك لكى تصدق . فأنت تؤمن دون
أن ترى . أو ترى ما لا يرى .

ما هي حياتنا الروحية يا إخوتي ؟ إنها ليست سوى انتقال من نطاق المحسوسات والمرئيات إلى نطاق ما لا يرى .

ونحن نعيش في ما لا يرى ، بلاء الثقة أنه موجود أمامنا . وهذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن .

غير المؤمن يريد أن يرى كل شيء بعينه ، وإلا فإنه لا يصدق . أما المؤمن فإنه لا يجعل من عينيه حكماً على كل ما يؤمن به ... ولا كل حواسه ، ولا المعلومات الظاهرة . بل إن قلبه يوقن بوجود أمور لا يراها بعينه ... إن اعتماد الإنسان على عينيه لكي يصدق ، أمر وبخ الرب عليه تلميذه توما قائلاً له « لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » « ألأنك رأيتني يا توما آمنت ؟! طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢١ : ٢٧ ، ٢٩) .

قلنا إنه من ضمن الإيقان بأمور لا ترى ، الإيمان بالله ... ولكننا لا نفهم بهذا مجرد الإيمان بوجود الله ، وإنما الإيمان أيضاً بصفاته وبعمله .

فتؤمن مثلاً بصلاح الله وخيريته . وبأنه لا يصنع إلا خيراً . وتؤمن أنه ضابط الكل ، يرقب كل شيء وكل أحد . وتؤمن أن الله قادر على كل شيء ، وأن « غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله » (لو ١٨ : ٢٧) . وتؤمن بحجة الله لك ولغيرك ...

كل هذه الصفات ، لا تراها . ولكن تؤمن بوجودها ، وتؤمن برعاية الله للكون ، وحفظه له جملة ، ولكل فرد فيه على حدة ... وتؤمن أن الله يعمل ، سواء رأيت عمله أو نتائج عمله ، أو لم تر شيئاً ...

٢ - ومن الأشياء التي لا ترى أيضاً مواعيد الله . وقد حسب من رجال الإيمان أولئك الذين « لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، وأقروا بأنهم نزلاء وغرباء على الأرض » (عب ١١ : ٣) . وهؤلاء نظروا المواعيد بالإيمان ، إذ صدقوا ما قيل لهم من قبل الرب ...

ومن هذه المواعيد « ما أعده الله للذين يحبونه » وكلها من الأمور التي لا تُرى ، إذ قال عنها الرسول « ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر »

ومن الأمور التي لا ترى ، إنذارات الله .

لقد آمن نوح بكلام الرب أنه سيحدث طوفان ، مع أن كلمة (طوفان) هذه ، كانت جديدة على سمعه وعلى معرفته . ولم يحدث طوفان من قبل في أيامه ، ولا في أيام سابقيه . ولكنه آمن بحدوث هذا الشيء الذي لم يره أحد من قبل . وظل سنوات يعمل في بناء الفلك ، محتملاً استهزاء الناس به وبفلكه وتهكمهم ... وكانت سنوات من الإيمان .

ولذلك اعتبر أبونا نوح من رجال الإيمان لأنه صدق إنذار الله بالطوفان . وبالإيمان رأى هذا الطوفان قائماً قبل أن يكون . ولذلك دخل الفلك هو وبنوه ونساؤهم . وكما قال معلمنا القديس بولس الرسول « بالإيمان نوح ، لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد ، خاف فبنى فلكاً لخلاص بيته... » (عب ١١ : ٧) . بينما معاصروه لم يصدقوا إنذار الله ، ولم يؤمنوا بصدق كلام الله فهلكوا...

ونفس الوضع نقوله عن أبينا لوط وأهل سدوم . هو صدق إنذار الله قبل أن يحدث . مع أنها كانت المرة الأولى التي تنزل فيها نار من السماء ، كما كانت المرة الأولى التي يحدث فيها طوفان في أيام نوح .

أما أهل سدوم الذين لم يؤمنوا بإنذار الله فقد هلكوا ، كما هلك الذين لم يؤمنوا بإنذار الله أيام نوح .

وهوذا إنذارات الله الخاصة بالأبدية وبالدينونة قائمة أمامنا ، ومع ذلك فالتناس مازالوا في شرورهم وأخطائهم ، كأن الله لم يقل شيئاً ... لا مخافة الله في قلوبهم ، ولا خشية الأبدية ، ولا حرصاً ، ولا توبة ...

تحدثنا عن الله وعن صفاته وعمله ، وعن مواعيده وإنذارته ، ضمن الأمور التي لا ترى . ونضيف على ذلك :

٣ - سكنى الروح وعمله فينا ، من الأمور التي لا ترى :

صموئيل النبي صب من قنينة الدهن على الصبي داود ، فحل عليه روح الرب (١ صم ١٦ : ١٣) . ولم ير أحد روح الرب وهو يحل عليه . ولكن هكذا كان . إنه من الأمور التي لا ترى

وكان الرسل يضعون أيديهم على الناس ، فيحل عليهم الروح القدس (أع ٨ : ١٧) . وما كان أحد يرى الروح القدس وهو يحل على الناس . ثم أصبح الروح القدس ينال بالمسحة المقدسة (١ يوحنا ٢ : ٢٠ ، ٢٧) . وعرفت هذه المسحة باسم (الميرون) . ولم يكن أحد يرى الروح ، إنما ثماره تظهر في الحياة .

أنت تعرف تماماً أن هناك قوة خفية تعمل فيك وتعمل معك ، دون أن تراها ، هي التي قال عنها الرب « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨) . هذه القوة ، قوة الروح هي التي تعمل فيك كل خير ، وتساعدك في كل خدمة ، وتحملك من كل خطية...

هنا ونقول إن حياتنا كلها تصبح شركة مع الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) .

ما هذه الشركة ؟ وكيف تحدث ؟ وكيف نصبح شركاء للطبيعة الإلهية في العمل ؟ إن هذا من الأمور التي لا ترى . لا تراها ولكن تؤمن بها . تؤمن بروح الله العامل في الكنيسة ، الساكن فيها .

هوذا الرسول يقول « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦) ، « أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من الله » (١ كو ٦ : ١٩) .

وسكنى الروح فينا أمر لا نراه . قد نرى ثماره فقط . أما نفس السكنى فلا نراها . والروح لا نراه .

ومن عمل الروح فينا قول الرب لنا عن الوقوف أمام الولاة والملوك « لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم يتكلم فيكم » (متى ١٠ : ١٩ ، ٢٠) .

كيف يتكلم روح الله فينا ؟ إن هذا من الأمور التي لا ترى .

٤ - وعمل النعمة فينا ، من الأمور التي لا ترى :

تأتينا زيارات من النعمة ، تشعلنا بحبة الله . لا نراها ولكن نحسها . ولا شك أن عمل النعمة فينا هو من الأمور التي لا ترى .

يقول القديس يوحنا الإنجيلي « أما النعمة والحق فييسوع المسيح صاراً » (يوحنا : ١٧) . فما هي هذه النعمة العاملة فينا ؟ ما هي هذه النعمة التي عاش بها القديس بولس الرسول فقال «...ولكن بنعمة الله ، أنا ما أنا . ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة » (١ كو ١٥ : ١٠) . ويقول عنا جميعاً « فإن الخطية لن تسودكم ، لأنكم لستم تحت الناموس ، بل تحت النعمة » (روم ٦ : ١٤) . ويقول لتلميذه تيموثاوس الأسقف : « فتقوانت يا إبني بالنعمة التي في المسيح يسوع » (٢ تي ٢ : ١) .

نحن لا نرى هذه النعمة بعيوننا الجسدية ، فهي من الأمور التي لا ترى . ولكننا نلمسها في حياتنا . وعمل نعمة الله فينا هو فوق الحواس . ونحن نتقبل هذه النعمة من الله . ونأخذها بركة من الكنيسة التي تردد لنا قول القديس بولس الرسول « نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم ، آمين » (٢ كو ١٣ : ١٤) .

إن هذا يجعلنا ننتقل إلى نقطة أخرى هي البركة :

٥ - البركة أيضاً هي من الأمور التي لا ترى :

سواء البركة التي من الله نفسه مباشرة ، أو بركة الله التي تأتي عن طريق الوالدين ، أو من الكنيسة من الأب الكاهن . كلها أمور لا ترى .

لقد قال الله لأبينا إبرام أبي الآباء « أباركك ، وأعظم إسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركك... وتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٢ ، ٣) . لقد رأى إبرام ثمار هذه البركة في حياته . ولكن البركة نفسها : ما هي ؟ إنها من الأمور التي لا ترى .

واسحق بارك يعقوب إبنيه ، فصار مباركاً . وبكى عيسو لأنه لم يحصل على هذه البركة (تك ٢٧) . ويعقوب بارك افرايم ومنسى قائلاً « الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين » (تك ٤٨ : ١٦) . وصار الغلامان مباركين . ولكن افرايم صار أكثر بركة من أخيه ، لأن أبانا يعقوب وضع عليه يده اليمنى (تك ٤٨ : ١٧-٢٠) .

ما هي هذه البركة ؟ وكيف سرت من يد إسحق ومن يد يعقوب ؟ وكيف

سرت من أيدي الآباء الرسل؟ وكيف تسرى من أيدي خلفائهم ومن رجال الله جميعاً، كما يروى لنا الكتاب...؟

إنها كلها أمور لا ترى . ونحن نؤمن بالبركة مع أنها لا ترى ، ونسعى إلى طلبها ونواها . ونأخذها من أيدي الآباء والأمهات ومن الآباء الكهنة ومن كل رجال الله المباركين . ونعرف تماماً أن ابرآم كان بركة للعالم حسب قول الرب . وأن يوسف الصديق كان بركة في بيت فوطيفار وبركة في كل أرض مصر، وأن إيليا النبي كان بركة في بيت أرملة صرفة صيدا...

نقول هذا كله ، ونحن لا نستطيع وضع معنى محدد للبركة ، فهي أوسع بكثير من الألفاظ المحدودة . وهي أمر لا يرى . نرى ثماره فقط . ولكن البركة نفسها . من يستطيع أن يراها ويشخصها؟!!

كيف سرت البركة من يد السيد المسيح إلى الخمس خبزات والسمكتين ، فصار هذا الطعام البسيط كافياً لعدة آلاف من الناس ، وفاض عنهم إثننا عشرة قفة مملوءة؟ كيف حدث هذا الأمر؟ وما نوعيته ومفعوله بالضبط... كلها أمور لا ترى...

٦ - ومن ضمن الإيمان أيضاً بما لا يرى ، الإيمان بوجود الملائكة وعملهم :

نحن نؤمن بوجود الملائكة ، والملائكة أرواح لا ترى . وربما لا نكون قد رأينا ملاكاً في حياتنا كلها . ومع ذلك نؤمن أنهم حولنا وأن «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (مز ٣٤ : ٧) . ونوقن بأن الملائكة تملأ الكنيسة . ونثق أنهم معنا في كل مواضعنا «أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسله للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١ : ١٤) .

كثيرون يفرحون حينما يرون العذراء في رؤيا ، أو يرون قديسين . ولكن أعظم من هذا أن تؤمن بأن كل هؤلاء حولك ، دون أن تراهم . ليس من الضروري أن يرسل لك الله حمامة بيضاء أثناء حضورك إجتماعات المساء في الكنيسة... إنما أنت تؤمن -دون أن ترى- أن الكنيسة مملوءة بأرواح الملائكة . وترفرف عليها أرواح القديسين الذين يرسلهم الله لخدمة البشر...

إن جيحزى تلميذ أليشع ، خاف لما رأى الأعداء عيطين بالمكان...
ولكن أليشع ، الرجل المفتوح العينين ، فكان يرى الملائكة يدافعون عن
المدينة ضد هؤلاء الأعداء . لذلك طمأن غلامه قائلاً له « لا تخف ، لأن الذين معنا
أكثر من الذين علينا... » (٢مل ٦ : ١٦) . وصلى من أجله لكي يفتح الرب عينيه
فيرى ، إذ كان جيحزى ليس له الإيقان بأمور لا ترى .

٧ - ومن الإيقان بما لا يرى أيضاً : الإيمان بالروح ، والعالم الآخر :

نحن لا نرى الروح . ولكننا نؤمن بوجودها . وحينما يموت إنسان ، نقول إن
روحه فارقت جسده . ونحن لم نر هذه الروح تفارق الجسد .

كذلك الإيمان أيضاً يشمل مصير هذه الروح ، في الفردوس أو الجحيم . ويشمل
أيضاً عودة هذه الروح إلى الجسد بالقيامة . ومصير هذا الإنسان القائم من الأموات
في الأبدية بعد الدينونة العامة...

وكل هذه الأمور : الروح - القيامة - الأبدية - الدينونة (الحساب) - الفردوس -
النعم - الجحيم... كلها أمور لا ترى . لذلك فالإيقان بوجودها جميعاً يدخل في نطاق
الإيمان . حقاً إن العالم الآخر بكل ما فيه ، لا يتحدث عنه أحد إلا بالإيمان . والذي
يؤمن بالحياة بعد الموت ، إنما يوقن بأمور لا ترى .

٨ - لقد آمن الناس بمجيء المسيا ، دون أن يروه :

حتى المرأة السامرية ، قالت للرب « أنا أعلم أن المسيا - الذي يقال له المسيح -
يأتي . فتي جاء ذاك يخبرنا بكل شيء » (يو ٤ : ٢٥) .

وهكذا كان الجميع موقنين بمجيء المسيا ، حسب وعد الرب . وكانوا ينتظرونه
بكل شوق . ويعرفون ما قاله اشعيا النبي « ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو اسمه
عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) . وما كانوا قد رأوا من قبل عذراء تلد ، ومع ذلك
آمنوا بهذا الأمر فيما بعد ...

ويشبه الإيمان الذي كان به أهل العهد القديم ينتظرون مجيء المسيا ، هكذا

نحن في العهد الجديد ننتظر مجيء الرب ثانية، على السحاب، حسب وعد الرب (متى ٢٤، ٢٥)، وحسب بشرى الملاكين للتلاميذ (أع ١: ١١).

لم نر الرب من قبل على سحاب السماء مع ربوات قديسيه، في مجد أبيه، ومعهم ملائكته القديسون. ولكننا نؤمن بمجيئه في هذا المنظر الذي لم نره من قبل. لأن الإيمان هو الإيقان بأمر لا ترى.

٩ - الفداء أيضاً هو من الأمور التي لا ترى :

في الفداء، من محبة المسيح لنا، حل جميع خطايانا ومات عنها «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا» (اش ٥٣: ٦). وهكذا قال عنه القديس يوحنا المعمدان «هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩). وقال القديس يوحنا الرسول «وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يو ٢: ٢). وقال القديس بولس الرسول «مساعداً لكم بجميع الخطايا، إذ مح الصك الذي علينا» (كو ٢: ١٣، ١٤). وقال أيضاً «عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو ١: ٢٠).

ونحن نرى الصليب فقط، وقد يراه البعض عاراً!! أما ما في الصليب من حب، ومن فداء وكفارة، ومن مغفرة ومحو للصك المكتوب، وحل خطايا العالم، وأيضاً ما في الصليب من عمل المصالحة... فكل هذه أمور لا ترى. نراها نحن بالإيمان...

بطرس الرسول - قبل الإيمان بكل هذا - ما كان يرى في الصليب سوى الضياع والعار...! لذلك قال «حاشاك يارب» (متى ١٦: ٢٢). فانتهره الرب، إذ لم يكن يرى الأمور التي لا ترى...

إن الصليب كان يمثل عمق إحسانات الرب إلينا. ولكن الكتبة والفريسيين لم يروا هذا، لأن عيونهم ما كانت تبصر. لأنهم «لو عرفوا لما صلّبوا رب المجد» (١ كو ٢: ٨).

إن هذا يقودنا إلى نقطة أخرى وهي :

١٠ - إحصانات الله الخفية ، هي من الأمور التي لا ترى :

إننا نشكر الله فقط على إحصاناته التي نراها أو التي نعرفها . ولكن هناك إحصانات أخرى لا ترى ينبغي أن نشكره عليها أيضاً . ولذلك عندما ندخل بالإيمان في حياة التسليم ، ندخل تلقائياً في حياة الشكر الدائم . كما قال الرسول « شاكرين في كل حين ، على كل شيء » (أف : ٥ : ٢٠) .

وفي هذا الشكر الدائم ، نشكر على التجارب أيضاً ...

لأننا نشعر أنه توجد فيها إحصانات خفية من الله ، نحن لا نبصرها . وإن أبصرناها ، لا بد أن نغنى مع القديس يعقوب الرسول قائلين « إحصوه كل فرح يا إخوتي ، حينما تقعون في تجارب متنوعة » (يع : ١ : ٢) .

وهذا نرى الإيمان يعطى معنى روحياً للألم ، الألم الذي يسمح الله به من أجل بركات معينة كامنة فيه ، هي من الأمور التي لا ترى ، ولكننا نتقبلها بالإيمان ، واثقين من محبة الله الصانع للخيرات ، واثقين من قول الكتاب « كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله » (رو : ٨ : ٢٨) .

١١ - وجود الله في حياتنا ، وقوته العاملة فينا ، من الأمور التي لا ترى :

ما أجل قول الرب لأبينا يعقوب « وها أنا معك . وأحفظك حينما تذهب . وأردك إلى هذه الأرض » (تك : ٢٨ : ١٥) ... كان الرب معه يحفظه حينما يذهب ... ولم يكن يرى الرب وهو معه . ولكن من المريح للنفس أن يشعر الإنسان بهذا ، ويوقن به ، فيحيا في اطمئنان دائم وفي فرح ...

ولم يكن هذا الأمر ميزة لأبينا يعقوب فقط ، بل أن الرب يقول « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (متى : ٢٨ : ٢٠) .

إن شعورنا بوجود الله معنا ، يشعرونا بقوة إلهية ترافقنا وتحفظنا .

هذه القوة هي العاملة فيك ومعك منذ أن تدخل في شركة الروح القدس ، فيشترك الروح القدس معك في العمل . وهكذا في الكنيسة الأولى كنا نرى أن ملكوت الله قد أتى بقوة (مر ٩ : ١) ، « وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة

بقيامه الرب يسوع ، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أع ٤ : ٢٣) . قيل عن القديس اسطفانوس أول الشمامسة إنه كان «مملوءاً إيماناً وقوة» (أع ٦ : ٨) ، وأنه وقف ضد عدة مجامع « ولم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به» (أع ٦ : ١٠) . هذه هى القوة فى الإيمان . أما الذى يؤمن ، ولكنه يخاف من إعلان إيمانه ، فهو إنسان ضعيف الإيمان ، لا يؤمن بقوة الله العامل معه .

المرأة نازفة الدم ، كانت تشعر أنها لو لمست ولو هذب ثوب المسيح ، ستخرج قوة من المسيح تشفيها . وقد كان (متى ٢٠ : ٢١ ، لو ٨ : ٤٦) .

وأنت إن آمنت بقوة الرب ، والتصقت به ، ستناها .

ليكن لك هذا الإيمان وهذا الشعور ، فى كل تفاصيل حياتك : فى خدمتك وفى صلاتك ، وفى عملك . كما قال القديس أنطونيوس عن أبا مقار الكبير «إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين» .

حتى فى حالة سقوطك : آمن أن هناك قوة ستخلصك .

إن كنت أنت أضعف من الشياطين ، آمن أن الله الذى يحبك هو أقوى منهم ، وهو قادر أن يخلصك من الخطية ، وفى قوة إيمان تضرع إلى الله أن يمنحك القوة التى تنتصر بها فى حياتك الروحية ، واطلب إليه أنه هو «يقودك فى موكب نصرته» (٢ كو ٢ : ١٤) .

حتى إن طالبت بك المدة ، آمن أن قوة الرب ستصلك ولو فى الهزيع الأخير ، لكى تنقذك . قوة الرب هذه غير مرئية ، ولكنها موجودة ، ومستعدة أن تعمل مع كل الذين يطلبونها مؤمنين .

عليك أن تبصر هذه القوة تصحبك ، ليس فى حياة التوبة فقط ، إنما فى كل نواحي حياتك الروحية ... حتى إن تكلمت ، يشعر الناس بقوة الكلمة ومفعولها ...

إن المؤمن هو إنسان قوى ، يؤمن بقوة الله العاملة فيه .

هوذا القديس بولس الرسول يقول « أتعب أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذى يعمل فى بقوة» (كو ١ : ٢٩) . ويقول أيضاً عن الله «القادر أن يفعل فوق كل شيء ، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر ، بحسب القوة التى تعمل فىنا» (أف

٢٠ : ٣) .

وبفضل هذا الإيمان بقوة الله العاملة ، التي قد لا نراها ولكن نؤمن بها ، عاش
القديس بولس في ملء الثقة ، وأمكنه أن يقول :

« أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في ٤ : ١٣)

عبارة كلها قوة ، وكلها إيمان ، وكلها ثقة بعمل الله . ونحن نسأل : هل هذه
العبارة هي من شأن قديس عظيم فقط مثل بولس الرسول ؟ فيجبينا الرب نفسه
« كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

لعل هذه القوة هي اختبار لحياتنا الروحية : هل نحن في الإيمان ؟
إنها قوة تساعدنا في حياتنا ، ونحيا مطمئنين .

في حياتنا أيضاً داخل الكنيسة ، تساعدنا بأمر كثيرة لا ترى ...

١٢ - من الأمور التي لا ترى ، ما يحدث في المعمودية :

يقول القديس بولس الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم
المسيح » (غل ٣ : ٢٧) . حقاً ما أعجب هذا السر ! من رآه ؟ إنه من الأمور التي
لا ترى . وقال حنانيا الدمشقي لشاول الطرسوسي « أيها الأخ شاول ... لماذا تتواني ؟
قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) . من رأى هذه الخطايا وهي تغسل ؟
إنها أمور لا ترى ، نقبلها بالإيمان ، كما قال الرسول « بمقتضى رحمته خلصنا ، بغسل
الميلاد الثاني » (تي ٣ : ٥) . هذا الخلاص الذي نلناه في غسل الميلاد الثاني ، أمر
لم نره ، ولكننا نؤمن به حسب قول الرب « من آمن واعتمد ، خلص » (مر
١٦ : ١٦) .

ثم ما معنى هذا الميلاد الثاني ؟ وما معنى الولادة من فوق ، والولادة من
الله . والولادة من الماء والروح ؟ كل هذه التي تحدث عنها الرب بنفسه (يو ٣ : ٣ -
٦) . كلها أمور لا ترى فعلية الولادة من الله سرّاً لا يرى . نحن نرى الإنسان
يفطس في جرن المعمودية . ولكننا لا نرى كيف يولد من الروح . وطوبى لمن آمن
دون أن يرى . لذلك حسن أن الكنيسة أطلقت على هذا الأمر إسم (سر) .
أترى أن تدخل العقل هنا ؟ العقل قاصر عن أن يدخل .

يقول الرسول « مدفونين معه بالمعمودية ، التي فيها أقمتم أيضاً معه... مساعداً لكم بجميع خطاياكم» (كو ٢ : ١٢). ويقول نفس المعنى في الرسالة إلى رومية، ويضيف بأن إنساننا العتيق قد صلب معه، وأنا نسلك في جدة الحياة (رو ٦ : ٣-٦). فن رأى هذا الموت وهذا الدفن، والقيامة، والمساحة بالخطايا، والحياة الجديدة، وصلب الإنسان العتيق... إنها كلها أمور لا ترى. ولكن نؤمن بها...

١٣ - سر الأفخارستيا أيضاً ، هو من الأمور التي لا ترى :

فيه ترى بالإيمان أن الخبز والخمر اللذين أمامك قد صاروا جسد الرب ودمه (بعد صلاة التقديس). هنا لا تجعل حواسك تحكم، لأن الحواس الجسدية لا تبصر سوى الأمور التي ترى. أما الحواس الروحية فتستمع إلى قول المسيح « هذا هو جسدي... هذا هو دمي» (متى ٢٦ : ٢٦، ٢٨)، « من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية... لأن جسدي مأكول حق، ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فتي وأنا فيه» (يو ٦ : ٥٣-٥٦).

أنا لا أجادل الرب فيما يقوله ، إنما أتقبله في إيمان .

فهذا هو الإيمان « الإيقان بأمور لا ترى » . أما التي تُرى فهي الخبز والخمر. وهكذا يقول القديس بولس الرسول « كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح» (١ كو ١٠ : ١٦). ويقول أيضاً « إذن أى من أكل هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه... يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب» (١ كو ١١ : ٢٧، ٢٩).

وكيف نميز أن هذا جسد الرب ، حتى لا ننال دينونة ؟

هنا نرتفع فوق مستوى الحواس ، وفوق مستوى العقل ، بالإيمان .
عقولنا هي التي تتعبنا حينما نتقبل أسرار الكنيسة . وحواسنا تتعبنا أيضاً . ونحتاج إلى بساطة الإيمان . نصدق ما قاله المسيح . ونصدق ما قاله رسوله القديس بولس الرسول ولا نجادل .

١٤ - وبالإيمان بما لا يرى نتقبل ما في المسيحية من أسرار :

نتقبل (وضع اليد) الذى ناله برنابا وشاول من الرسل ، لكى يفرزا للخدمة (أع ١٣ : ٢ ، ٣) . ووضع اليد الذى ناله تيموثاوس من بولس الرسول (٢ قى ١ : ٦) . ونوقن أن فى ذلك سرأ .

ونتقبل السلطان الذى أعطاه الرب بقوله «إقبلوا الروح القدس ؛ من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت» (يو ٢٠ : ١٣) ، «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» (متى ١٨ : ١٨) .

هذا السلطان غير مرئى ، ولكنه سر نراه بالإيمان . إنه ليس لكل أحد ، ولا يأخذه أحد من نفسه بل المدعو من الله كما هرون (عب ٥ : ٤) .
وهكذا فى باقى الأسرار التى لا نراها ، ولكن نؤمن بها ...

إن رؤية ما لا يرى ، هى الرؤية الروحية الحقيقية :

لعلها هى التى عناها رب المجد بقوله لتلاميذه القديسين «أما أنتم فقولوا لعيونكم لأنها تبصر» (متى ١٣ : ١٦) . تبصر ماذا؟ تبصر المسيح وعجائبه . وأيضاً تبصر ما لا يرى ، مثلما أبصر القديس يوحنا رؤياه العجيبة . ومثلما أبصر القديس بولس السماء الثالثة وكثرة من الاستعلانات (٢ كو ١٢ : ٢ ، ٧) ، أمور «لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم عنها» (٢ كو ١٢ : ٢) .

أما أولئك الذين لم تكن لهم هذه الحاسة الروحية ، فقد وبخهم الرب بقوله «أغمضوا عيونهم لئلا يبصروا» (متى ١٣ : ١٥) . وكرر رسوله عنهم نفس التعبير (أع ٢٨ : ٢٧) . وعبارة أغمضوها قد تعنى أنهم لم يدرّبوا نفوسهم على رؤية الروحانيات . أو أنهم رفضوا أن يروا الروحانيات من فرط انشغالهم بالماديات .

كان جيحزى لا يبصر ما يبصره معلمه أليشع (٢ مل ٦ : ١٧) . وأيضاً مثلما كان مرافقو شاول الطرسوسى فى وقت الرؤيا الإلهية ، وقد قال عنهم الكتاب «وقفوا صامتين ، يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحداً» (أع ٩ : ٧) .

القمص بطرس السرياني

الفصل الثالث

درجات وانواع

من الإيمان

« كما قسم الله لكل واحد

نصيباً من الإيمان » .

(روم ١٢ : ٣) .

درجات من الإيمان :

يختلف الناس في نوعية إيمانهم ودرجته حسبها «قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان» (رو ١٢: ٣).

وقد يبالغ البعض ، وإذ يجد إنسان ناقصاً في إيمانه ، يقول عنه إنه غير مؤمن على الإطلاق. وهذا الحكم ضد تعليم الكتاب المقدس كما سنرى. والبعض قد يخلط بين كلمة (المؤمنين) وكلمة (المختارين)، كما لو كانتا تدلان على معنى واحد.

فلنتأمل إذن أنواع الإيمان ودرجاته :

١ - هناك نوع «حديث الإيمان» وهذا قد أمر الرسول بعدم سيامته في درجة الأسقفية «لثلاث يتصلف» (١ تي ٣: ٦).

٢ - وهناك نوع «قليل الإيمان» أو «ضعيف الإيمان» .
وسنضرب أمثلة من الإنجيل لهذا النوع :

أ- الذين يشكون في عناية الرب بهم في المأكل أو الملبس . هؤلاء ضرب الرب لهم مثلاً بزنابق الحقل التي ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. ثم وبخهم قائلاً «فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم وي طرح غداً في التنوير، يلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟» (متى ٦ : ٢٨ - ٣٠، لو ١٢ : ٢٨).

ب - كذلك وبخ التلاميذ لما فكروا أنهم لم يأخذوا معهم خبزاً، فأنتهرهم قائلاً «يا قليلي الإيمان» (متى ١٦ : ٨).

ج - ووبخ الرب القديس بطرس لما خاف بعدما مشى معه على الماء فبدأ يفرق. حينئذ أمسكه الرب قائلاً له «يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟» (متى ١٤ : ٣١).

د - وبالمثل وبخ التلاميذ لما خافوا حينما غطت الأمواج السفينة أثناء نومه فيها. حينئذ قال لهم «ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان» (متى ٨ : ٢٦).

إذن الخوف ، والشك في معونة الله دليلان على قلة الإيمان .

هـ - وقد ضرب الرسول مثلاً في ضعف الإيمان بالأخ الذي يعثر من أكل ما ذبح للأوثان . وأمر بأن ضعيف الإيمان لا يجوز إدانته ولا الإزدراء به ، وقال « هو لمولاه : يثبت أو يسقط . ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته » (رو ١٤ : ١-٤) .

هنا ويعجبنى والد الطفل المصروع ، لما سأله الرب « أتؤمن ؟ » لكى يشفيه . حينئذ أجاب « أؤمن يا رب . أعن عدم إيماني » (مر ٩ : ٢٤) .

إن الإيمان الضعيف يحتاج إلى من يصلى لأجله ، لكى يعينه الرب . ولا يجب مطلقاً أن نذريه . فالله قادر أن يثبته .

٣ - هناك نوع ثالث : هو الإيمان المحدود :

ونقصه به الذى يؤمن بالرب فى حدود معينة ، ولا يصل إيمانه إلى ما هو أبعد منه ... مثال ذلك مريم ومرثا ، اللتان كانتا تؤمنان أن الرب يقدر أن يشفى أخاهما من المرض فلا يموت . أما إن مات ، فقد كانت إقامته من الأموات أمراً لم يكن إيمانها قد وصل إليه .

لذلك كل منها قالت للرب « لو كنت ههنا ، لم يميت أخى » (يو ١١ : ٢١ ، ٣٢) . ولما قال الرب لمرثا « سيقوم أخوك » أجابته « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » (يو ١١ : ٢٤) . ولما ذهب الرب إلى القبر وقال « إرفعوا الحجر » ، قالت مرثا « يا سيد قد أنتن ، لأن له أربعة أيام » (يو ١١ : ٢٤) .

إن الله لم يرفض هذا الإيمان المحدود ، إنما أعطاه فرصة لينمو .

لذلك قال لمرثا « من آمن بى ، ولو مات فسيحيا » . ووبخها عند القبر قائلاً « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله » (يو ١١ : ٢٠ ، ٤٠) . وأعطاها فرصة أن ترى مجد الله فى إقامة أخيها لعازر ، لتؤمن ، وليؤمن أيضاً اليهود الذين شهدوا المعجزة .

وهنا كان الإيمان لاحقاً للمعجزة ، وليس سابقاً لها . وربما كان ذلك لأن تلك المعجزة كانت الأولى من نوعها ، أى إقامة ميت بعد

أربعة أيام من موته، بعد أن أنتن .

٤ - نوع رابع ، من الإيمان الضعيف ، هو البطيء القلب في الإيمان . وربما يكون عن بطء في الفهم ، أو عن عدم إدراك ، فلا يأتي إيمانه سريعاً . وكان هذا هو نوعية إيمان تلميذى عمواس من جهة قيامة الرب . ولذلك وبخها قائلاً «أيها الغيبان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء . أما كان ينبغي أن المسيح يتألم...» (لو ٢٤ : ٢٥ ، ٢٦) . ثم بدأ يشرح لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب ... لكي يؤمنا ، أو لكي يعالج هذا البطء في إيمانها ، الناتج عن عدم فهم أو عدم معرفة .

وفي هذا المثال أيضاً نقول : إن علاج الأخطاء الخاصة بالإيمان ، هو الوضع السليم . وهذا أفضل من الإزدراء أو التحقير الذي لا يأتي بنتيجة ولا يوصل إلى الإيمان السليم .

٥ - وهناك حالة خطيرة هي الإيمان الميت :

فقد قال القديس يعقوب الرسول « الإيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠ ، ١٧) . وقال إن مثل هذا الإيمان لا يقدر أن يخلص صاحبه (يع ٢ : ١٤) . ورأى أن الإيمان الحى ينبغي أن تكون له أعمال تدل عليه ، فقال «أنا أريك بأعمالى إيماني» (يع ٢ : ١٨) .

٦ - هناك أيضاً إيمان غير ثابت :

مثال ذلك أن السيد المسيح (قبيل القبض عليه) قال لتلميذه بطرس « هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة . ولكنى طلبت من أجلك ، لكي لا يفنى إيمانك » (لو ٢٢ : ٢١ ، ٢٢) .
في ذلك الوقت إهتز إيمان بطرس ، لكنه عاد بعدئذ إلى قوته الأولى .

٧ - وهناك حالات وصفها الكتاب بأنها خروج عن الإيمان السليم . ومنها :

أ - قال القديس بولس الرسول « إن كان أحد لا يعنى بخاصته ، ولا سبأ أهل بيته ، فقد أنكر الإيمان ، وهو شر من غير المؤمن » (١ تي ٥ : ٨) .

ب - وقال عن الأرامل الحداثات اللاتنى يرجعن فى نذرهن ننبتولية «أرفضهن ، لأنهن متى بطرن على المسيح ، يردن أن يتزوجن . ولهن دينونة ، لأنهن رفضن الإيمان الأول» (١ قى ٥ : ١٢) .

ج - وقال كذلك « محبة المال أصل لكل الشرور . الذى إذا ابتغاه قوم ، ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١ قى ٦ : ١٠) .

د - وقال « إحفظ الوديعه ، معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ... الذى إذ تظاهر به قوم ، زاغوا من جهة الإيمان» (١ قى ٦ : ٢١) .

هل بعد هذه الأمثلة نستطيع أن ننكر علاقة الإيمان بالأعمال ؟
لأنه هنا بعمل خاطيء يقال إن إنساناً أنكر الإيمان ، أو رفض الإيمان ، أو ضل أو زاغ عن الإيمان ... لعلنا بأمثال هذه المقاييس نمتحن أنفسنا ، عملاً بقول الرسول «إختبروا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان» (٢ كو ١٣ : ٥) .

٨ - أخطر حالة هى « الإرتداد عن الإيمان » :

يقول الرسول « فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة» (١ قى ٤ : ١) . وعبارة الإرتداد عن الإيمان ، تعنى أنهم كانوا فى الإيمان ثم ارتدوا

ويتحدث الرسول عن الإرتداد العظيم الذى يسبق مجيء المسيح فيقول إنه « لا يأتى إن لم يأتِ الإرتداد أولاً» (٢ تس ٢ : ٣) .

هذا من الجهة العامة ، أما عن الناحية الفردية فيقول « أما البار فبالإيمان يحيا . وإن ارتد لا تسرّ به نفسى» (عب ١٠ : ٣٨) . وهنا يتكلم عن ارتداد إنسان مؤمن بار كان بالإيمان يحيا .

مادام المؤمن يمكن أن يرتد ، إذن المؤمنون هم غير المختارين . فالمختارون يبقون على إيمانهم كل حياتهم ، حتى ملاقاته الرب ...

كل ما ذكرناه فى الأنواع السابقة ، هو عن السلبيات فى الإيمان . نتابع كلامنا إذن عن الإيجابيات الإيمانية .

٩ - اللهو في الإيمان :

يقول القديس بولس الرسول لأهل تسالونيكى « نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الأخوة... لأن إيمانكم ينمو كثيراً » (٢ تس ١ : ٣) . وقال عن أهل كورنثوس إنهم يزدادون في الإيمان (٢ كو ٨ : ٧) .
إذن الإيمان فضيلة كسائر الفضائل ، يمكن أن ينمو فيها الإنسان ...

١٠ - حفظ الإيمان والثبات فيه :

يقول الرسول عن نفسه في أواخر حياته ، ووقت انحلاله قد حضر «... أكملت السعى ، حفظت الإيمان . وأخيراً وضع لى إكليل البر» (٢ تي ٤ : ٧ ، ٨) .
ويقول لأهل كولوسى « ... ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه ، إن ثبتم على الإيمان... » (كو ١ : ٢٣) .
وأقوى من الثبات في الإيمان ، تعبير آخر هو :

١١ - الرسوخ في الإيمان :

يقول القديس بطرس الرسول عن محاربات إبليس « ... فقاوموه راسخين في-
الإيمان » (١ بط ٥ : ٩) .
وهناك درجة أخرى من الإيمان هي :

١٢ - الغنى في الإيمان :

يقول القديس يعقوب الرسول « أما اختار الله فقراء العالم أغنياء في الإيمان ، وورثة الملكوت الذى وعد به الذين يحبونه » (يع ٢ : ٥) .
وهناك درجة أزيد من الغنى في الإيمان وهي :

١٣ - الإمتلاء من الإيمان :

قيل عن القديس اسطفانوس أول الشمامسة « فاختاروا اسطفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس » ، « وأما اسطفانوس فإذا كان مملوءاً إيماناً وقوة ، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة... » (أع ٦ : ٥ ، ٨) .
كل هذه الصفات تقال عن حالة لازمة للإيمان هي :

١٤ - الإيمان العامل بالمحبة :

يقول القديس بولس الرسول « في المسيح يسوع ، لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة» (غل ٥ : ٦) .
ولعله ذكر عبارة الإيمان العامل ، لأن الإيمان بدون أعمال ميت (يع ٢ : ٢٠) . أما عبارة المحبة ، فلأنه بها يتعلق التاموس كله والأنبياء (متى ٢٢ : ٤٠) .
وهناك نوع عظيم من الإيمان هو :

١٥ - الإيمان الذى يصنع العجائب :

تحدث السيد الرب عن « آيات تتبع المؤمنين » (مر ١٦ : ١٧) . وقال القديس يعقوب الرسول « صلاة الإيمان تشفى المريض » (يع ٥ : ١٥) .
ولكن لعل قلة هذا الأمر تبدو في قول الرب « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٢) .
ولعل هناك نوعاً آخر ، ليس لصانع الأعجوبة ، إنما للذى يتقبلها وهو :

١٦ - إيمان الثقة والتصديق :

وهو الذى كان يتطلبه الرب ممن تحدث معه المعجزة . وأحياناً يسأله « أتؤمن ؟ » . وكما قال للأعميين اللذين طلبوا منه الشفاء « أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ » (متى ٩ : ٢٨) .
وقد طوّب الرب هذا النوع من الإيمان ، مثلما قال للمرأة الكنعانية « عظيم هو إيمانك » (متى ١٥ : ٢٨) . ومثلما قال عن قائد المائة « لم أجد ولا فى اسرائيل إيماناً بمقدار هذا » (متى ٨ : ١٠) .

١٧ - كل الإيمان :

يقول القديس بولس الرسول « إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ... » فاعتبر أن هذا الإيمان الذى ينقل الجبال ، هو كل الإيمان ، أى قته ، ولا شيء بعده .

أنواع من الإيمان :

هناك فرق كبير بين نوعين من الإيمان : إيمان نظري ، وإيمان عملي .

١ - الإيمان النظري (العقل) :

هو إيمان فكري ، فلسفي . مجرد الإقتناع العقل بوجود الله ، وبوجود الأمور التي لا ترى دون أن يكون لذلك أى تأثير على الحياة . وهناك نص يثبت أن الشياطين لهم هذا النوع من الإيمان . إذ يقول القديس يعقوب الرسول عن الإيمان الميت ، الخالي من الأعمال :

« أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون » (يع ٢ : ١٩) . وسفر أيوب يعطينا دليلاً عملياً على هذه النقطة . لأن حديث الشيطان مع الله تبارك إسمه يثبت هذا الإيمان النظري ، إذ يقول الشيطان للرب « هل مجاناً يتقى أيوب الله ؟ أليس أنك سيجت حوله ... باركت أعمال يديه . ولكن إسبط الآن يدك ومس كل ماله ، فإنه في وجهك يجدف عليك » (أى ١ : ٩-١١) . ولما أخذ إذناً من الله للتصرف ، ذهب ليعمل ضد أيوب . وفي المرة الثانية قال أيضاً للرب « ... ولكن الآن إسبط يدك ومس عظمه ولحمه ، فإنه في وجهك يجدف عليك » (أى ٢ : ٥) .

وهذا الكلام كله يثبت أن الشيطان يؤمن عقلياً بأن هذا هو الله ، وأنه هو الذي بارك أعمال أيوب ، وهو القادر أن يمس ماله ، وأن يمس لحمه وعظمه . وأن أى عبارة تصدر من أيوب ضد الله تعتبر تجديفاً على الله ... ومع كل هذا ، كان الشيطان يحارب ملكوت الله وأولاده ، ولا يزال .

إيمان الشيطان العقلي الذى تحدث عنه معلمنا يعقوب ، هو أيضاً إيمان ميت ، حسب قول الرسول نفسه « إيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . فإن كان الإيمان الخالي من الأعمال الصالحة إيماناً ميتاً ، فكم بالأكثر المشحون بالأعمال الردية ومقاومة كل صلاح أياً كان ...

إن الإيمان العقلي سهل . ما أسهل إثبات وجود الله بالأدلة العقلية وبالبراهين

العديدة . المهم هو الإيمان العملي .

هذا يقودنا إلى النوع الهام من الإيمان ، وهو :

٢ - الإيمان العملي :

هو الإيمان الذي تظهر علاماته في الحياة العملية ، حياة إنسان يؤمن أن الله كائن أمامه ، يراه وبحسه ، ويتصرف بما يليق بهذا الإيمان . وهو يحب هذا الإله الذي يؤمن بوجوده وبعنايته ورعايته وحفظه ، ويكلم هذا الإله المحبوب في صلواته وتضرعاته ، ويخشى أن يفعل شيئاً يجرح قلبه المحب ... وفي اطمئنانه لعمله لا يخاف ولا يضطرب ، بل يحيا في سلام دائم ، مسلماً حياته كلها لتدبيره الحكيم ... وهكذا يقوده الإيمان إلى عديد من الفضائل لا تحصى .

وهذا النوع من الإيمان سيكون موضوع كتابنا هذا بمشيئة الرب ، حيث سنشرح كيف يقود الإيمان حياتنا كلها لتصبح حياة الإيمان .
وهذا المفهوم ينقلنا إلى صفة أخرى من صفات الإيمان السليم وهي :

٣ - إيمان دائم :

ونعني به أنه لا يكون إله مناسبات . فلا يظهر إيماننا فقط حينما نكون في الكنيسة أو في اجتماع روحى ، أو حينما نصلى ، أو نقرأ الكتاب ، أو نتقدم للتناول . وإنما يظهر هذا الإيمان في كل وقت ، وكل مكان ، في خارج الكنيسة كما في داخلها . الله أمامنا باستمرار ، وفي فكرنا باستمرار ، بإيمان لا يتغير . إنه ليس فقط إله الكنائس وإله الكتاب ، إنما هو إله القلب والفكر جميعاً ، وإله الحياة كلها .

٤ - إيمان دون أن يرى :

إيمان لا يعتمد على الحواس ، وينطبق عليه قول الرب « طوبى للذين آمنوا دون أن يروا » (يوحنا : ٢٠ : ٢٩) . ليس مثل العلماء الذين لا يؤمنون بشيء ، إلا إذا أحضروه في معاملهم ، وتيقنوا منه بأبصارهم وأجهزتهم . وليس مثل الصدوقين الذين أنكروا وجود الملائكة والقيامة والأرواح (أع : ٢٣ : ٨) ، لأنهم لا يرون شيئاً من ذلك كله ...

٥ - إيمان الثقة والاختبار :

إنه ليس الإيمان بالله الذى نقرأ عنه فى كتب اللاهوت ، أو فى المعاهد الدينية ، أو فى الكنائس وفى فصول التعليم الدينى على أنواعها . وإنما إيمان بالله الذى اختبرناه فى حياتنا ، وعاشرناه ، وأدخلناه فى كل تفاصيل حياتنا ، واختبرنا عملياً قول داود النبي « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٤ : ٨) ... ووجدنا أن الله عجيب عجيب ، إلى أبعد الحدود ، فوق ما يتصور العقل ... حياتنا كلها مجرد عشرة معه ، ذقنا فيها حلاوته وحبه ورعايته ، ورأينا أيضاً قوته وجلاله . وجربنا كيف يدخل فى مشاكلنا ويحلها ، بطرق ما كانت تخطر على عقولنا .

ونتيجة للاختبار ، صارت لنا ثقة ، غير مبنية على الكتب ، وإنما على ما لمسناه بأيدينا ... لذلك إيماننا إيمان حقيقى راسخ فى قلوبنا .

٦ - إيمان قوى :

وهو الإيمان الذى يستطيع كل شيء (مر ٩ : ٢٣) . ويمكنه أن ينتصر على كل عقبة . ولا يرى أمامه شيئاً مستحيلاً . بل كما قيل عن زربابل « من أنت أيها الجبل العظيم ؟! أمام زربابل تصير سهلاً » (زك ٤ : ٧) .

إنه الإيمان الذى يستطيع أن يضع قدمه فى الماء ، لكى يعبر البحر الأحمر فى أيام موسى النبي (خر ١٤ : ٢٢) ، وأن يعبر نهر الأردن فى أيام يشوع (يش ٣) . ويستطيع أن يمشى فى داخل الفجر العظيم ، والمياه تحيط به مثل سور ، عن يمين وعن شمال ، دون أن يخاف ...

إنه الإيمان الذى يستطيع أن يضرب الصخرة فيفتجر منها الماء (خر ١٧ : ٦) . وهو الإيمان الذى يسير فى الصحراء بلا زاد وبلا مرشد ، يجمع طعامه من المن النازل من السماء يوماً بيوم (خر ١٦ : ٢١) . وترشده السحابة نهاراً ، وعمود النار ليلاً (عد ٩ : ١٥ - ٢٣) .

إنه الإيمان القوى الذى استطاع أن ينقل الجبل المقطم على يد سمعان الدباغ ، أيام البابا أبرآم بن زرعه .

وهو الإيمان القوى الذى استطاع به إيليا النبي أن يقول «لا يكون ظلّ ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولى» (١مل ١٧ : ١). وهكذا «لم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلي فأعطت السماء مطراً» (يع ٥ : ١٧ ، ١٨). وهكذا استطاع أن يغلق السماء ويفتحها.

ما أكثر الأمثلة عن هذا الإيمان القوى . ولكن هناك أمثلة أخرى عن هذا الإيمان القوى ، تبدو في مظهر آخر هو:

٧ - إيمان لا يتزعزع :

إنه إيمان ثابت ، لا يتأثر مطلقاً بالعوامل الخارجية : فهو يؤمن بحبة الله سواء كان على جبل التجلى أو على جبل الجلجثة .

يؤمن بحبة الله الذى يعطيه من سارة نسلأ في ظروف تدعو إلى اليأس ، تماماً تماماً كما يؤمن بحبة الله وهو يقول له : خذ إبنك وحيدك الذى تحبه إسحق ، وأصعده هناك محرقة على الجبل الذى أريك إياه (تك ٢٢ : ٢). .

إن إبراهيم وهو يرفع بيده السكين على إبنه اسحق ، ما كان يشك مطلقاً في محبة الله ، ولا في صدق مواعيده...

لم يتزعزع إيمانه مطلقاً في هذا الإله ، ولا في أنه سيكون له من اسحق نسلأ مثل نجوم السماء ورمل البحر في الكثرة...

إن الإيمان الثابت لا يتغير بالظروف الخارجية المحيطة به ، لأن ثقته ثابتة في الله ، وسلامه القلبي لا يستمد من الظروف الخارجية ، إنما من الله نفسه ومحبه وصدق مواعيده .

٨ - الإيمان كموهبة :

هناك إيمان عاды ، وإيمان يعتبر موهبة من الروح القدس . ولا شك أن هذا له درجة عالية تفوق الإيمان العاды بكثير...

يقول القديس بولس الرسول في حديثه عن المواهب «فأنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد... ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة . فإنه لوأحد

يعطى بالروح كلام حكمة... ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد...» (١ كو ١٢ : ٤-٩).

وهكذا أيضاً وضع الإيمان ضمن ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢).

ويبدو هنا أننا لا نستطيع أن نفرص الإيمان عن عمل الروح القدس: إما من ثمار الروح، وإما من مواهب الروح. ولكلٍ منها درجته...

٩ - الإيمان السليم :

ما أكثر ما يؤمن الناس بأفكار، أو مذاهب، سياسية أو اجتماعية، ويعطيهم إيمانهم بها قوة على التنفيذ، وعلى نقلها إلى عقول الناس...

ولكننا نود في هذه الصفحات أن نتحدث عن الإيمان السليم، الذي يكون له طابع روحي وصلته وطيدة بالله «الإيمان العديم الرياء» (١ ق ٢ : ٥)، «الإيمان المسلّم مرة للقديسين» (يه ٣)... هذا الإيمان الطاهر النقي فكراً وسلوكاً. وهذا يجعلنا نقول: إن الإيمان، ليس هو مجرد عقيدة، إنما هو حياة... أو هو حياة مؤسسة على عقيدة. أو هو عقيدة إختبارية عاشها الناس، وليست مجرد أفكار في الكتب. وما نريد أن نتحدث عنه في هذا الكتاب هو هذه الحياة، حياة الإيمان...

الفصل الرابع

علاقة الإيمان

بالتسليم وعدم الضوف

من صفات المؤمن ، أن يكون قلبه مملوءاً بالسلام والهدوء . لا يضطرب مطلقاً ، ولا يقلق ، ولا يخاف ، لأنه يؤمن بحماية الله له ... وهو يحتفظ بسلامه الداخلى ، مهما كانت الظروف الخارجية تبدو مزعجة .

يخاف الشخص الذى يشعر أنه واقف وحده . أما الذى يؤمن أن الله معه فلا يخاف ...

١ - هوذا داود النبى يقول « إن يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام على قتال ، ففى هذا أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ٣) . وإن سألته عن السبب فى هذا ، يجيب فى نفس المزمور « الرب نورى وخلصى ، ممن أخاف ؟! الرب حصن حياتى ، ممن أرتعب » (مز ٢٧ : ١) . لقد اختبر الرب ومعونته وحمايته ، فقال عندما اقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمى ، مضايقى وأعدائى عشروا وسقطوا » (مز ٢٧ : ٢) .

إنه لا يستمد سلامه من تحسن الظروف الخارجية من حوله ، إنما يستمد سلامه من عمل الله فيها ومعه .

لذلك فهو يقول فى مزمور الراعى « إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً » لماذا ؟ « لأنك أنت معى » (مز ٢٣ : ٤) .

إن كان لك هذا الإيمان ، أن الله معك ، فلن تخاف ، مهما حاربك جيش ، أو قام عليك قتال ، حتى إن سرت فى وادى ظل الموت .

٢ - ولعل هذا السلام وعدم الخوف ، نراهما فى مقابلة إيليا النبى لآخاب : كان آخاب الملك يفتش عن إيليا النبى فى كل مكان لكى يقتله . ومع ذلك فإن إيليا ذهب ليتراعى لآخاب . ولما حذره عوبديا من الخطر ، أجاب إيليا « حتى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه ، فى اليوم أتراعى له » (١ مل ١٧ : ١٤ ، ١٥) . وقد كان . قابل إيليا آخاب الملك ، ولم يخف منه . بل وبخه على عبادته للأصنام (١ مل ١٧ : ١٨) . إيليا لم يكن يخاف ، لإيمانه أنه واقف أمام رب الجنود .

٣ - وبالمثل كان داود في لقائه مع جليات الجبار .

داود - الصبي الصغير - كان بالإيمان مملوءاً بالسلام لا يخاف جليات ، بل يتكلم بثقة... ويقول لشاول الملك «لا يسقط قلب أحد بسببه» (١ صم ١٧ : ٣٢) . أما الملك وكل جيشه فكانوا خائفين ، ومرتعين جداً . لأنهم لم يكونوا ناظرين إلى الله الذي لا يرى ، مثلما كان ينظر داود... بل كانوا مركزين أبصارهم في هذا الذي يرونه أمامهم «الرجل الصاعد» الذي «طوله ست أذرع وشبر، وقناة رجمه كنول النساجين ، ووزن درعه خمسة آلاف شاقل نحاس» (١ صم ١٧ : ٤-٧) .

داود رجل الإيمان ، لما دخل إلى ميدان المعركة أدخل الله معه ، وأدخل روح الإيمان والإطمئنان إلى قلوب رجال الحرب بقوله «من هو هذا الأغلف حتى يعير صفوف الله الحي... لا يسقط قلب أحد بسببه» (١ صم ١٧ : ٢٦ ، ٣٢) . وقال لذلك الجبار «أنت تأتي إليّ بسيف ورمح . وأنا آتى إليك باسم رب الجنود» (١ صم ١٧ : ٤٥) . أعني : أنت تأتي إليّ بالأمر التي ترى ، وأنا آتى إليك بالذي لا يرى .

وسلاحظ أن إسم الله لم يفارق لسان داود . وكان يمنحه سلاماً

وهذا الإيمان ، وهذا السلام القلبي ، وهذه الثقة تقدم داود إلى ذلك الجبار المرعب ، وقال له في يقين الإيمان «اليوم يحبسك الرب في يدي... فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله... لأن الحرب للرب» (١ صم ١٧ : ٤٦ ، ٤٧) .

حقاً إن الرجل المؤمن لا يعرف الخوف ، مهما كانت الظروف خفيفة من حوله... سلامه القلبي لا يفارقه مطلقاً... بل يمنحه الإيمان أيضاً شجاعة وبسالة .

٤ - في وسط الضيقة ، أياً كانت ، نرى الإيمان يعطى سلاماً .

ضيقة تحل بإثنين : أحدهما مؤمن والآخر غير مؤمن . فيضطرب غير المؤمن ويخاف ويقلق ، ويتصور أسوأ النتائج ، وتزعجه الأفكار... أما المؤمن فيلاقيها بكل اطمئنان ، وبسلام قلبي عجيب . وقد يسأله البعض عن شعوره إزاء الضيقة فيقول «هذه المشكلة ، سيتدخل الله فيها ويحلها ، وستؤول إلى الخير» . وقد تسأله كيف سيتدخل الله ؟ وكيف سيحلها ؟ فيجيبك : أنا لا أعرف . ولا يهمني هذا . إنما أعرف أننا لا نهم بمشاكلنا ، فإله هو المهم بالكل...»

حقاً إنى لا أعرف كيف سنحل المشكلة . ولكنى أَعْرِضُ الله الذى سيحلها .

وهكذا يقوده الإيمان إلى الاطمئنان . وهكذا أولاد الله يعيشون دائماً فى سلام ، بل وفى فرح ، شاعرين أن الله معهم ، هو الذى يتولى كل أمورهم ، ويعمل من أجلهم ما لا يستطيعون عمله لأجل أنفسهم...

٥ - إن يونان - حتى وهو فى بطن الحوت - لم يفقد إيمانه وسلامه .

بل إنه صلى إلى الرب وهو فى بطن الحوت ، صلاة كلها إيمان ، وقال فى ثقة «ولكنى أعود أنظر هيكل قدسك» (يون ٢ : ٤) . ونذر للرب نذراً وقال : «أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك . وأوفى بما نذرته . للرب الخلاص» (يون ٢ : ٩) .

حتى وهو فى بطن الحوت ، كان يرى خلاص الرب . وكان يرى أنه سيخرج منه ، ويرى الهيكل المقدس ، ويذبح للرب ويوفى نذوره . إنه الإيمان مصدر كل سلام وراحة . لا خوف فيه ولا قلق .

٦ - فإذا قلّ الإيمان ، حينئذ يخاف الإنسان .

بطرس فى إيمانه استطاع أن يمشى مع الرب فوق الماء ، ناسياً كل قوانين الجاذبية . فلما تذكرها وخاف حينئذ سقط ، فوبخه الرب قائلاً «يا قليل الإيمان لماذا شككت» (متى ١٤ : ٣١) .

وهكذا ربط الرب بين الخوف والشك وقلة الإيمان . وحقاً إنه ترابط عجيب : الشك يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يؤدي إلى الخوف . والخوف يسبب السقوط .

وبنفس الوضع نتحدث عن التلاميذ لما هاجت عليهم الأمواج فى السفينة . رؤيتهم الأمواج تغطى السفينة ، بينما الرب نائم فيها ، جعلتهم يشكون فى اهتمام الرب بهم . والشك أضعف إيمانهم ، فخافوا . لذلك وبخهم الرب قائلاً «ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان» (متى ٨ : ٢٦) .

فى كل مرة تخاف ، وبخ نفسك على قلة إيمانك .

قل لنفسك أين هو إيمانى بأن الله موجود ، وبأنه ضابط الكل يرى كل شيء ؟

وأين إيماني بحبة الله ، وبتدخله في مشاكلي ، وبقدرته على كل شيء ، وأين إيماني بأن الله صانع الخيرات ، وبأنه لا بد سيصنع معي خيراً؟
هذه الأفكار كلها تقوى إيمانك ، وتمنحك سلاماً ، وثقة بعمل الله .

الإيمان مريح للنفس . لأن الذي يؤمن بوجود الله ، لا يشعر بالوحدة . بل يثق أن هناك قوة إلى جواره

إنه يؤمن بوجود هذه القوة القادرة على كل شيء ، التي تساعده ، والتي كلها حب وعدل . وهي تعمل للخير الجميع ، وتترافق على كل من هو في ضيقة ... وإذا يطمئن إلى هذه القوة الإلهية الحافظة ، يمتلئ قلبه سلاماً ، ولا يقلق ولا يخاف ... أما غير المؤمن ، فإذا لا يثق بقوة خفية تسنده ، فراه يتعب ، ويقف وحيداً في ضيقاته فاقداً للسلام ...

٧ - القديس بطرس كان في السجن ، وقد نام نوماً ثقيلاً .

مع أن هيرودس الملك ، لكي يرضى اليهود ، كان قد قتل القديس يعقوب بن زبدي أحد الإثني عشر ، وأمر بالقبض على القديس بطرس وألقاه في السجن «مسلياً إياه إلى أربعة أرباع من العسكر ليحرسوه» . وكان مزماً قتله بعد الفصح (أع : ١٢ : ١-٤) .

وعلى الرغم من السجن ، ومن الحراسة المشددة ، ومن توقع القتل ... نام بطرس في السجن ، واثقاً من وجود حراسة إلهية تحرسه ، أكثر من حراسة العسكر عليه . وكان نوماً ثقيلاً ، لدرجة أن الملاك الذي أتى لينقذه ، ضربه في جنبه ليوقظه (أع : ١٢ : ٧) ...

أي سلام قلبي هذا ، الذي يجعل إنساناً في مثل هذه الظروف ينام ، وهو في السجن ، وفي نفس الليلة التي كان فيها هيرودس الملك مزماً أن يقدمه للقتل ... !

إنه الإيمان بحفظ الله ، إن أراد له حياة على الأرض ...

أو الإيمان بالأبدية السعيدة ، إن شاء الله له أن يستشهد .

وفي كلتي الحالتين ، الأمر يدعو إلى الفرح . لذلك كان السلام يملأ قلبه .

وكان ينام في هدوء . وما كانت الأمور الخارجية تزعجه ...

ولعله كان هناك سبب آخر لهذا السلام ، وهو أنه « كان بطرس محروساً في

السجن . وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله » (أع ١٢ : ٥) .

الإنسان المؤمن هو الذى يستطيع أن ينام فى حضن الله ويستريح . إنه يسلم حياته وكل مشاكله للرب . ويقول للرب : ما دمت أنت قد استلمت هذه الموضوعات ، فأنا سوف لا أشغل نفسى بها . إنها قد انتهت بالنسبة لى ، وانتقلت إلى يديك أنت ، وأنا واثق أنك ستصنع كل خير . أما أنا فطمئن إلى عملك ، وسأنام وأستريح . لذلك حسناً قيل فى الزمور إنه « يعطى أحبائه نوماً » (مز ١٢٧ : ٢) .

٨ - دانيال النبي والثلاثة فتية ، مثال للإيمان المملوء بالسلام . دانيال كان ينتظر أن يلقى فى جب الأسود ، ومع ذلك لم يفقد سلامه ، ولم يفقد أيضاً شجاعته . واحتفظ بإيمانه ، وصلى إلى الله إله بكل مجاهرة ، وبلا خوف . فى جب الأسود ، كان قلب دانيال أقوى من قلوب جميع الأسود التى معه ... وكأنه يقول : وماذا إن ألقونى فى جب الأسود ؟ أليس الرب هناك أيضاً . أليس هناك ملاك يسد أفواه الأسود ... وكذلك الثلاثة فتية ما خافوا من أتون النار .

لا شك أن الإيمان يخلق فى القلب كل شجاعة وجرأة ، وينزع منه كل خوف .

٩ - وهكذا كان القديسون فى طريقهم إلى الإستشهاد . كانوا يغنون أغانى الفرح ، ويسبحون الله ، وهم فى طريقهم إلى الموت . وما كان الموت يزعجهم ، ولا العذاب . كان إيمانهم بالحياة الأخرى ، وبالأبدية السعيدة ، وبعشرة الرب فى الفردوس ، كل ذلك كان يملأهم سلاماً بل وفرحاً ، بل أيضاً اشتياًقاً إلى الموت ، مغنين مع بولس الرسول « لى اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح . فذاك أفضل جداً » (فى ٢ : ٢٣) . إن الموت لا يخيف المؤمن ، بل يفرحه ...

١٠ - فى كل ضيقة وصعوبة وعقبة ، المؤمن لا يخاف ، ولا يفقد سلامه . المؤمن ينتصر على العقبات ، دون أن يخاف منها . يشعر أن الله سيحل

الصعوبات التي تصادفه، ولا يتركه وحده فيها .
أما غير المؤمن فربما الصعوبات تصيبه بالتردد والخوف . وبعدم إيمانه يجبن . بل
عدم الإيمان قد يصور له صعاباً ومخاوف غير موجودة، كأن « الأسد في الطريق .
الشبل في الشوارع » (أم ٢٦: ١٣) .

أما المؤمن فلا يخاف مطلقاً مهما صادفته المصاعب والمتاعب . إنه يلاقيها كلها في
هدوء وفي اطمئنان واثقاً بعمل الله معه .

١١ - بهذا الإيمان والاطمئنان ، وقف القديس أنثاسيوس بحارب
الأريوسية .

بكل ما كان للأريوسية من صلة بالإمبراطور ، وتأثير عليه وعلى حاشيته . بل
بكل ما كان لها أيضاً من تضليل للشعب ، وضغط على الأساقفة وإقناع لبعضهم ،
وإثارة جو عام من الشك . حتى قيل لهذا البابا المؤمن :

[العالم كله ضدك يا أنثاسيوس] فأجاب [وأنا أيضاً ضد العالم]

وهكذا لم ترهبه قرارات النقي من الأباطرة ، ولا قرارات الحرم من بعض
الأساقفة ، ولا الشكوك المنتشرة في كل مكان ، ولا الإتهامات الباطلة التي يلصقونها
به . وإنما ظل يطوف من بلد إلى بلد ، بكل ثقة ، يعلم ويقنع ، ويزيل الشكوك ،
ويثبت الناس في الإيمان ، ويكتب الردود والمقالات ، ويدحض براهين
الأريوسيين ... إلى أن انتصر أخيراً ، وانتصر الإيمان على يديه . وقال القديس
جيروم :

[مر وقت ، كاد فيه العالم كله أن يصبح أريوسياً ، لولا أنثاسيوس]

هذا هو الإيمان الذي لا يعرف خوفاً ولا اضطراباً ، ولا تهزه الأحداث ، بل
يحتفظ بسلامه وسط النيران المتقدة إلى أن يطفئها الله ...

إن إيمان القديس أنثاسيوس بالعتيدة التي كان يدافع عنها ، منحه قوة جبارة ،
وقف بها ضد جميع المقاومات . وكل قوة أنثاسيوس ، إنما تكمن في إيمانه ، الإيمان
الذي يستطيع أن يصنع الأعاجيب .

١٢ - بالإيمان بشر أناس بالمسيح في بلاد تأكل لحوم البشر ولم يخافوا .
ودخلوا في مجاهل أفريقيا ، وفي الغابات ، وفي مناطق خطيرة حتى من جهة

طبيعتها ومناخها وطبائع أهلها . ولم يخافوا . إيمانهم بالله الحافظ لهم ، أعطاهم قوة وشجاعة . وكذلك إيمانهم بخيرية وأهمية العمل الذى يقومون به ، أهمية أن يوصلوا كلمة الله للنفوس التى هناك حتى لا تهلك فى عدم إيمان . كل هذا أعطاهم قوة ، ونزع الخوف من قلوبهم ، فتمموا عملهم ، ولم تشبه عن الغربة ، ولا قسوة المناخ ، ولا وحشية الناس ، ولا خطورة الطبيعة ...

١٣ - بالإيمان أخذ أبونا نوح معه الوحوش فى الفلك ولم يخف .

مادام الله قد قال له خذها معك اثنين اثنين ، إذن فسيأخذها . والله الذى أصدر الأمر سيحفظه منها . وستكون معه كما كانت مع آدم فى الفردوس ، يعيش معها بلا خوف ، وبكل سلام فى القلب ... وقد كان .
أبونا نوح كان مؤمناً بكلمة الله له ، لذلك لم يخف .

١٤ - بل إن كل من آمن بفكرة ، يعطيه الإيمان بها قوة لتنفيذها .

وهكذا كان المصلحون فى كل زمان ومكان . آمنوا بفكرة ، فجاهدوا بكل قوة لتنفيذها . وبسبب إيمانهم احتملوا الكثير من الضيق ، حتى أكملوا عملهم .

غاندى مثلاً آمن بحق الإنسان فى الحرية ، وآمن بسياسة عدم العنف . وأعطاه هذا الإيمان قوة عجيبة استطاع بها أن يحرر الهند ، وأن يعطى الحقوق للمنبوذيين متساوين مع إخوتهم . واستطاع أن يحتمل الكثير لكى لا يسلك أتباعه بعنف ، ولا يلاقون العنف بالعنف . إيمانه بالفكرة أعطاه القوة على تنفيذها ، فكم بالأكثر بما لا يقاس : الإيمان بالله .

١٥ - بل حتى الإيمان بالعلم يصنع الأعاجيب . مثال ذلك رواد الفضاء .

وأقصد كمثال إيمانهم بما قيل لهم عن منطقة إنعدام الوزن . وكيف أن الإنسان فيها يمكن أن يمشى فى الجودون أن يسقط . من من الناس يجرو أن يمشى فى الجودون أن يخاف . أما الذى جعلهم ينفذون ذلك فهو إيمانهم الأكيد ببحوث العلماء الذين قالوا بهذا . والإيمان يعطى قوة وشجاعة . فكم بالأكثر الإيمان بالله .

إن الفرق بين أشجع الناس وأخوف الناس ، هو الإيمان .

إن الشخص الجرىء هو الذى لديه إيمان ، بأنه لن يحدث له ضرر ما ، أو هو

المؤمن بلزوم عمله وضرورته مهما حدث له ، أو هو المؤمن بصفة الشجاعة وعدم الخوف . أما الجبان فهو على عكس هذا كله .

١٦ - أيضاً الإيمان بالأبدية ، يعطى الإنسان راحة وسلاماً .

إذ يوقن أنه لا بد سينال حقه ، إن لم يكن على الأرض ، ففي السماء . ولا يكن مظلوماً هنا وهناك . كذلك سينال سعادته كاملة : ما لم يتحقق منها هنا ، سيتحقق بكل تأكيد في النعيم الأبدى . وهكذا يعيش مرتاحاً ، ولو كان مثل لعازر المسكين .

١٧ - الإيمان بقوة الصليب وعلامة الصليب ، يمنع الخوف .

الذى يؤمن بالصليب وقوة الصليب وعلامة الصليب ، كثيراً ما يشعر باطمئنان إذ يجتمى وراء هذا الصليب .

فإن تعرض لخوف أو خطر ، ورشم ذاته بعلامة الصليب ، يبتلىء قلبه سلاماً ، ويحس أن قوة تميمه ، وتمنع عنه الخوف ، ويحس أن قلبه دخلته قوة لم تكن فيه من قبل . وصارت له علامة الصليب سلاحاً .

وهناك إنسان آخر له إيمان كبير بفاعلية المزامير .

يتلوها في أى وقت ، أو في وقت الحاجة ، فيشعر أن المزمور فيه قوة خاصة ، تطمئن قلبه وتمنحه سلاماً . فإن كان خائفاً مثلاً ، وتلا مزمور ٩١ (الساكن في ستر العلى) ، أو ٢٣ (الرب يرعاني) ، أو ٢٧ (الرب نورى وخلصى) ... للوقت يشعر بسلام داخله ، وبأن قوة المزمور قد حلت عليه .

نحن نعرف أن المزامير قد قيلت بالروح (متى ٢٢ : ٤٣ ، ٤٤) . وأنها كجزء من الكتاب ، قالها داود مسوقاً بالروح القدس (٢بط ١ : ٢١) . لذلك لها قوة بلا شك .

آخرون لهم إيمان في أرواح القديسين وعملها لأجلهم .

لذلك يشعرون بسلام ، حينما يطلبون صلاة ومعونة قديس يحبونه ويشقون بدالته عند الله .

أذكر بهذه المناسبة راهباً أثيوبياً متوحداً ، كان يعيش في مغارة في وادى

النظرون. في إحدى المرات ضلّ طريقه بالليل، إذ كان يشكو وقتذاك من ضعف في بصره. وأقبل عليه الليل والظلام. فرسم دائرة واسعة على أرض الصحراء، وحوّطها بعلامة الصليب من كل ناحية، ونام داخلها. وفي الصباح رأى آثار الدبيب والحيوانات خارج الدائرة، ولم تستطع أن تدخلها لتؤذيه.

أتذكر منذ زمن طويل، أنني كنت مسافراً في سفينة، وقد هاجت الأمواج جداً عليها، وخاف الركاب. ونظرت فرأيت من بين الركاب معنا إنساناً طيباً جداً كنت أثق كثيراً بقداسته. فاطمأن قلبي. وقلت في داخلي «من المجال أن يسمح الله بفرق السفينة، وفي داخلها هذا الإنسان الطيب الذي يحب الله». ونجت السفينة فعلاً، ولم يحدث لها أي ضرر.

لقد كان مجرد وجود هذا الإنسان الطيب سبباً في السلام وتقوية الإيمان. وربما كان هذا شعور ركاب آخرين...

إن القصص الإختبارية في هذا المجال، لا تدخل تحت حصر. وكلها تقوى الإيمان. ولكني لست أرى الآن مجالها...

نكتفي بهذا الجزء وندخل في علامة أخرى من علامات الإيمان ...

الفصل الخامس

علاقة الايمان

بمقاومة القلب

من الملاك الذى حولك ، والذى لقداسته لا يحتمل رؤية بعض الخطايا فيتركك ... وكذلك لابد ستخجل من أرواح القديسين ومن أرواح أقربائك ومعارفك ... وهذا الخجل تبعد عن الخطية ، وتقترب إلى حياة النقاوة .

وإن كنت تؤمن أن الله قدوس ، ستخشى أن تظهر نجاساتك أمام هذه القداسة غير المحدودة . وفي كل مرة تقول فى صلاتك «قدوس قدوس قدوس» ستشعر فى داخلك بخزى عظيم على الماضى ، ولا تجرؤ على ارتكاب الخطية فى المستقبل . إن اشعياء النبى عندما سمع السارافيم يسبحون الرب بهذه التسبحة «قدوس...» صرخ قائلاً «ويل لى قد هلكت . لأنى إنسان نجس الشفتين...» (اش ٦ : ٣ ، ٤) .

إن كنت تؤمن أن الله فاحص القلوب وقارىء الأفكار ...

وأنه يعلم كل ما يحظر على فكرك وفى قلبك من مشاعر وخطط وتدابير ، حينئذ كنت تخاف من معرفته لدواخلك وتخجل من قدسيته ، وتبتعد عن هذه الأفكار والمشاعر ، فتصل إلى حياة النقاوة .

ولعلك تقول :

أنا أوّمن بكل هذا : أوّمن أن الله موجود ، وأنه يرى كل شىء ويسمع ، وأنه يفحص القلوب ويقرأ الأفكار... ومع ذلك أنا لا أزال فى أخطائى... أجيئك على هذا بأنه :

ربما تؤمن بكل هذا نظرياً . ولكنك لا تحيا حياة تليق بإيمانك ... !

إن الذى يحيا فى هذا الإيمان بأن الله يراه ، والملائكة تراه ، وأرواح المنتقلين تراه... عملياً لو وضع هذا الفكر فى قلبه ، لكان يخجل ، وتصغر نفسه فى عينيه ، ولا يجرؤ أن يكمل خطاياها . ولكن على رأى أحد الآباء - كما ورد فى بستان الرهبان - كل خطية يسبقها إما الشهوة ، أو التهاون ، أو النسيان .

لعل الإنسان يكون أثناء الخطية ناسياً لله وملكوته .

ولعله يكون ناسياً أنه صورة الله ومثاله ، إن كان يؤمن حقاً بهذا . ولعله يكون ناسياً أيضاً كل وصايا الله ، وكل إنذاراته ، مع أنه نظرياً يؤمن بكل هذا ، ولكن لا يحياها . هو كما قلنا : له إسم المؤمن ، وليس له حياة المؤمن ...

لا شك أنك تخجل أن تخطيء أمام إنسان بار تحترمه .
وقد تكون في حضرته في منتهى الحرص ، تستحي من أن ترتكب شيئاً مشيناً
أمامه . لا تحب أن يأخذ عنك فكرة سيئة ، أو أن تسقط من نظره... بل قد تحترس
أيضاً من الخطأ أمام أحد خدمك أو مرءوسيك ، لئلا يحتقرك في داخله ، أو يقل
احترامه لك...

لذلك فغالبية الخطايا تعمل في الخفاء ، إما بسبب الخوف أو بسبب
الإستحياء . وهكذا قيل عن الخطاة إنهم «أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن
أعمالهم شريرة» (يو ٣ : ١٩) . وقال الرب عن أعدائه المتآمرين عليه « هذه
ساعتكم وسلطان الظلام» (لو ٢٢ : ٥٣) .

فإن كنت تخجل أو تخاف من إنسان يراك ، فكم بالأولى الله؟!
فإن آمنت تماماً بأن الله موجود في كل مكان أنت فيه ، يراك ويسمعك
ويرقبك ، فلا شك سوف تخجل أو تخاف من أن ترتكب أى خطأ... أمام الله .
ولهذا فإن القديس يوسف الصديق عندما عرضت عليه الخطية ، رفض الخطية قائلاً :
« كيف أفعل هذا الشر العظيم ، وأخطيء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) .
إعتبر أنه خطأ إلى الله . كسر لوصاياہ . وعدم احترام له ، إذ يفعل الشر قدامه
بلا حياء... فهل عندك هذا الشعور؟ هل تضع الله أمامك في كل خطية تحارب
بارتكابها . وهل تذكر ما قاله الرب لكل ملاك من ملائكة الكنائس السبع (في
سفر الرؤيا) . إذ قال لكل منهم :

« أنا عارف أعمالك » (رؤ ٢ : ٢ ، ٩ ، ١٣ ، ١٩ ، رؤ ٣ : ١ ،
٨ ، ١٥) .

لوعرفت هذا ستخجل وتخاف ، وتمتنع عن الخطية ، لأن خوف الله سيكون
أمام عينيك باستمرار في كل مرة تحاول فيها أن تخطيء

بل إنك تشعر بالاستحياء من أرواح الملائكة والقديسين .
إن كنت تؤمن من كل قلبك أن ملائكة الله حالة حولنا (مز ٣٤ : ٧) . وأنا
«صرنا منظرًا للعالم ، للملائكة والناس» (١ كو ٤ : ٩) ... حينئذ لا بد ستخجل

لذلك : إن كنت تؤمن بالأبدية ، فضع الأبدية أمامك لكي لا تخطيء .
إن الذى يؤمن حقاً بأن الموت يأتى كلص (١ تس ٥ : ٢) ، والذى يؤمن
بأن الله عادل . وقد قال إنه سيأتى ليجازى كل واحد حسب أعماله (رؤ ٢٢ :
١٢) ، والذى يؤمن بالحياة بعد الموت ، والدينونة ، والثواب والعقاب ، والوقوف أمام
الله فى ذلك اليوم الرهيب الذى فيه تفتح الأسفار ، وتكشف النيات والأفكار ،
وتعلن كل أعمال بنى البشر أمام الكل... الذى يؤمن بهذا حقاً ، إيماناً عملياً ، من
الصعب عليه أن يخطيء ، بل يجد رادعاً داخله يشنيه ، خوفاً وخجلاً... وتراه دائماً
يستعد لملاقاة الرب فى ذلك اليوم...

ولماذا أتكلم عن الدينونة ، إنى أقول من ناحية أخرى :
إن كنت تؤمن بحبة الله ، فإنك تحجل أن تحرج محبته .
كثيراً ما تقول « الله محبة » (١ يو ٤ : ٨ ، ١٦) . ولكنك أثناء الخطية ،
لا تكون فى حالة إيمان عملي بمحبته . بل ربما لا تكون هذه المحبة فى فكرك إطلاقاً .
إن كنت تؤمن حقاً بأن المحبة هى الرباط المقدس الذى يربطك بالله ، فكيف
يمكن أن تخطيء؟! « المولود من الله لا يخطيء » (١ يو ٣ : ٩) .

بل أنت لا تخطيء ، إن كنت تؤمن بالفضيلة كمنهج حياة .
كثيرون يتحدثون عن الفضيلة ، ويدعون الآخرين إليها ، ويمجدونها كثيراً .
ولكنهم لا يجيئونها . لا يؤمنون عملياً فى أعماقهم بأن تكون الفضيلة هى منهج حياة
لهم . وإن آمنوا بذلك عملياً ، لعاشوا فى حياة النقاوة ، مبكتين أنفسهم بشدة على
كل ضعف ...

أيضاً الذى يؤمن بفناء هذا العالم ، يزهد ولا يخطيء .
مثلاً كان يقول داود النبى « غريب أنا على الأرض ، فلا تخف عني
وصاياك » (مز ١١٩ : ١٩) ، « غريب أنا عندك ، نزيل مثل جميع آبائى » (مز
١٢ : ٣٩) . وهكذا عاش رجال الإيمان فى كل جيل « أقرؤا إنهم غرباء ونزلاء
على الأرض... يبتغون وطناً أفضل... سماوياً » (عب ١١ : ١٣ ، ١٦)... زهدوا
كل شئ فى هذه الدنيا ، وأطاعوا قول الرسول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى
العالم... لأن العالم يمضى وشهوته معه » (١ يو ٢ : ١٥ ، ١٧) .

وهذا الإيمان عاشوا في العالم ، دون أن يعيش العالم فيهم .
وكان هؤلاء « الذين يستعملون العالم ، كأنهم لا يستعملونه » (١ كو ٧ :
٣١) . وهذا الإيمان - على نطاق أكبر - عاش الرهبان والمتوحدون وسكان الجبال في
زهدهم ونسكهم « وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ، تائبين في براري وجبال وشقوق
الأرض » (عب ١١ : ٣٨) . وشهد لهم بالإيمان ...

هكذا يفعل الإيمان ، في تنقية القلب . وكما قال الرسول :
« هذه هي الغلبة التي تغلب العالم ، إيماننا » (١ يو ٥ : ٤) .
إيماننا بأن نعيش على الأرض « غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى ، بل إلى
التي لا تُرى . لأن التي ترى وقتية ، أما التي لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨) .
نعم إن الإيمان بقاء العالم ، هو الذي يجعلنا نغلب العالم ، وتنتقي من العالم وما فيه .

إن الإيمان بالأبدية ، يعطى الإنسان يقظة في ضميره .
وهكذا يكون له باستمرار ضمير حتى : يحكم على كل عمل ، ليس فقط من
جهة نجاحه أو فشله ، أو من جهة نتائجه في حياتنا الحالية ... إنما يحكم على الأمور
بمنظار الأبدية ... لأن كل تصرف يتصرفه ، له دخله في مصيره الأبدى ، وربما في
مصائر الناس ... فكل خير يعمله محفوظ له في السماء . وكل خطأ يقترفه في حق
الناس أو في حق نفسه ، سيعطى عنه حساباً في يوم الدين .

وأيضاً الإيمان بوجود الله أمامنا ، يمنح القلب انضاعاً .
يمنحه انضاعاً في القلب ، وانضاعاً في التصرف ، ويمنحه خشية وخشوعاً لأنه
واقف أمام الله . مثلما قيل عن القديس بطرس ، إذ كان يصيد (بعد القيامة) إنه
لما عرف أن الرب قد أتى « اثتر بثوبه ، لأنه كان عرياناً » (يو ٢١ : ٧) .

في حضرة الرب يقف كل إنسان في خشوع . وبقدر إحساسه بوجود الله ، على
هذا القدر يكون خشوعه . وهكذا يختلف الناس في شعورهم أثناء الصلاة ، فمنهم من
يركع ومن يسجد ، أمام عظمة الله غير المحدودة ... أما الذي يكون جالساً أثناء
الصلاة ، فإذا أقول عنه !؟

والإحساس الدائم بوجود الله - حتى في غير وقت الصلاة - يجعل الإنسان في

اتضاع دائم، لأن العظمة هي لله وحده. وتعظم الإنسان عمل صد الإيمان...

لذلك فنحن نرى الملائكة القديسين في هذا الخشوع الدائم .
يقول الكتاب عن طعمة السارافيم « لكل واحد ستة أجنحة : بائنين يغطى وجهه، وبائنين يغطى رجله، وبائنين يطير» (اش ٦ : ٢) . فإن كان الملاك السارافيم يغطى وجهه ورجليه في حضرة الله، من بهاء عظمة الله، فإذا نقول نحن؟ وكيف ينبغي أن نكون خاشعين وفي اتضاع قدامه...
إلى هذه الدرجة نرى الإيمان ينق القلب، ويمنحه خشية وحياءً واتضاعاً...

فالذى يؤمن بأهمية الله بالنسبة إليه، يخشى من اقتراف الخطية، لأنها انفصال عن الله. وما أخطر أن يفصل إنسان عن الله.

أما الذى لا يؤمن بخطورة الخطية، وبخطورة نتائجها الروحية، فإنه يتساهل معها ويسقط، ويفقد نقاوته. أنظر مدى شعور داود بخطورة الخطية حينما قال للرب « لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت» (مز ٥١). وانظروا إلى يوسف الصديق، إذ يؤمن أنه حينما يخطيء إلى أحد، إنما «يخطيء إلى الله» (تك ٣٩ : ٩).

كل هذه المشاعر الإيمانية إما أنها تجعل الإنسان يمتنع عن الخطية مثل يوسف، أو ينسحق بعدها مثل داود. وكلا الأمرين من علامات نقاوة القلب.

الفصل السادس

بِسْمَةِ الْإِيمَانِ

بساطة الإيمان ، كثير من المفكرين يشتهرون بها ولا يجدونها .

مرّ أحد الفلاسفة على فلاح بسيط ، يصلى في حرارة شديدة وهو ساجد في خشوع ، يكلم الله بلجاجة ودالة ، كأنه واقف أمامه ... فقال : أنا مستعد أن أتنازل عن كل فلسفتي ، مقابل أن أحصل على شيء من إيمان هذا الرجل البسيط ، الذى يكلم من لا يراه ، بكل هذه الثقة ...

لقد شعر الفيلسوف بأن هذا الرجل البسيط ، يمتلك شيئاً ثميناً لم يستطع هو بكل فلسفته أن يحصل عليه ... وهو الإيمان .

بساطة الإيمان « تصدق كل شيء » يختص بالله ، وتقبله بلا فحص وبلا جدال ... أعنى ذلك الجدل الذى يشتهر به العقلانيون ...

وهذه البساطة تذكرنا بإيمان الأطفال ، الذين يؤمنون بكل الحقائق اللاهوتية والروحية ، في ثقة كاملة لا تشك ولا تكذب ، ولا تقدم أى اعتراض من العقل . ولعل هذا من الأسباب التى دعت السيد المسيح أن يقول لتلاميذه « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) ... قد يكون إيمان الإنسان الكبير أكثر عمقاً . ولكن إيمان الطفل أكثر براءة وبساطة وصدقاً . إيمان حقيقى لا شك فيه . ليت إيمانك يكون قوياً ، كإيمان طفل .

أنا لست أوافق الذين يقولون إن الأطفال غير مؤمنين ...

هوذا بولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس « إنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحمك للخلاص ، بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (٢ تي ٣ : ١٥) . وما أعظم امتداح الرب للطفل الذى أقامه وسط تلاميذه (متى ١٨ : ٣، ٤) .

الذى يسلك فى بساطة الإيمان ، يعيش بعيداً عن تعقيدات العقل .

ويعيش بعيداً عما يقدمه العقل من شكوك وأفكار ، وربما من أضراب . حقاً إن العقل وزنة من الله . ولكنها كثيراً ما تفضل إن بعدت عن الإيمان .

الإيمان هو نوع من التجلى ، يقدمه الله للعقل لكى يستنير .

وإن وقف العقل وحده ، فإنه يتعب صاحبه بأفكاره... لو كان الصبي داود يعتمد على عقله وفكره ، لخاف من جليات مثلما خاف شاول الملك وقتل الجيش... ولكنه اعتمد على الإيمان البسيط ، الذي قال به جليات « اليوم يجسك الرب في يدي » (١ صم ١٧ : ٤٦) . ولكن كيف يجسه الرب في يده ؟ هذا شيء لم يفكر فيه داود ، إنما تركه إلى الله نفسه ، لأن الحرب للرب كما قال (١ صم ١٧ : ٤٦) ... هذا هو الإيمان . وبه انتصر داود ، أكثر من الذين كانوا يستخدمون العقل ميزاناً للأمر...

في الإيمان البسيط ، المسألة ليست مسألة تفكير ، إنما مسألة ثقة . وحتى إن قال العقل إن الحرب لا بد أن تبحث ما مدى توازن القوى في القتال ، وكيف تتفوق إحداها ؟ فالإجابة بسيطة : وهي أن الله إذا دخل المعركة ، فإنه سيغير الفكرة البشرية عن ميزان القوى ، فيصبح الطفل داود ومعه قوة الله ، أقوى بكثير من جليات الجبار بدون هذه القوة . وهنا نرى أن الإيمان - مع بساطته - لا يتعارض مع العقل وموازينه ...

الذي يجيا بالإيمان البسيط ، يعيش بلا هم . لأن الهم غالباً ما يأتي نتيجة التفكير الكثير ، الذي يفكر في المشاكل بطريقة عقلانية . ولكن في بساطة الإيمان يعمل الإنسان ما يستطيعه ، ويترك العنصر الأهم لله نفسه ، ولا يحمل همأ . وإيقانه بأن الله يعمل ، يعطيه سلاماً في القلب ، ولا يسمح للهم بالسيطرة على مشاعره .

الذي له الإيمان البسيط لا يحمل همأ ، لأنه قد ترك تدبير أموره إلى الله . وإذا وثق بحسن تدبير الله لحياته ، صار لا يهتم بالغد ، لأن إله الغد هو المهتم به . وكل ما يحدث له في حياته يتلقاه بعبارة « كلة للخير » ، « كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) .

أما الذي يضع تفكيره مكان التدبير الإلهي ، فإنه يتعب كثيراً ، ويحمل همومه بدلاً من أن يحملها الله عنه .

كذلك مما ينزع الهم ، ثقة الإيمان البسيط باستجابة صلاته . ولعلكم جميعكم تعرفون قصة تلك البلدة التي أتعبها الجفاف لعدم سقوط المطر ،

فقرر أهلها إقامة يوم للصلاة من أجل أن يسقط الله المطر على الأرض. وفي ذلك الوقت، فكل الكلى يصلوا. ولكن طفلة ذهبت وهى تحمل معها مظنة (شمسية). فلما سألوها عن ذلك، قالت: ألسنا سنصلى من أجل المطر؟ ماذا نعمل إذن، حينما يستجيب الله صلاتنا ويسقط المطر، وليست معنا شمسيات؟! لقد كان لها الإيمان باستجابة الصلاة. ومن أجل إيمانها أنزل الله المطر...

هذا الإيمان البسيط ، له قوته بالنسبة إلى المعجزات والرؤى

لقد تحدث المعجزة بالنسبة إلى شخص ، ولا تحدث بالنسبة إلى شخص آخر. لأن الأول فى بساطة الإيمان يصدقها ويقبلها. أما الآخر فإن الصعوبات التى يقدمها عقله، تجعله يشك فى داخله من جهة إمكانية حدوثها.

ونفس الوضع يحدث بالنسبة للرؤى . البعض يرى المناظر الإلهية والإستعلانات ببساطة إيمانه. والبعض لا يراها بتعقيدات عقله. والأمر واضح جداً كما حدث فى ظهور السيدة العذراء بكنيستها فى الزيتون بالقاهرة.

العقل يحاول أن يحلل كل شىء علمياً ، وإلا فإنه لا يصدق. بينا الإيمان يحتاج إلى تصديق، فى بساطة، بعيدة عن تعقيدات العقل...

لذلك فالمعجزات والرؤى تحدث بالأكثر مع البسطاء . أما (العقلاء كثيراً!!) الذين ينكرونها ويستزثون بمصدقها، فإنها لا تحدث لهم إلا نادراً، لكىما تجذبهم إلى الإيمان، أو لتكون شاهداً عليهم (يو ١٥: ٢٢).

إن اليهود لم يصدقوا حتى معجزة منح البصر للمولود أعمى ، وقالوا له إن الذى شفاه رجل خاطيء!! (يو ٩: ٢٤). كان العقل يضع أمامهم مشكلة الشفاء فى يوم السبت، لكى يضيّع بها إيمانهم (يو ٩: ١٦).

لذلك حسناً قال السيد المسيح عن هؤلاء وأمثالهم ، ومجدداً للبسطاء: «أحمدك أيها الآب ... لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهاء. وأعلنتها للأطفال» (مق ١١: ٢٥). حقاً هؤلاء الأطفال يقصد بهم البسطاء فى إيمانهم... أما هؤلاء الحكماء والفهاء فى هذه الآية، فهم المعتزون بإدراكهم وفهمهم، والمعتمدون على عقولهم وحده، بعيداً عن الإيمان... حتى أن بعض الروحانيين أمسك رأسه بين يديه

وقال : « إن هذه هي الثمرة التي أكل منها آدم وحواء »... يقصد الثمرة البعيدة عن الله ...

في إحدى الليالي ، قبل رهنقتي ، كنت راجعاً من زيارة أحد الآباء في الجبل . وكان الظلام قد انتشر، فقبل لي « لا ترجع وحدك إلى الدير لثلاث نضل الطريق » . وكنت أعرف الطريق جيداً ، وأؤمن بإرشاد الله فيه ، ومع ذلك قلت «إن ضللت طريق ، سأبيت في الصحراء حتى الصباح . وكنت مؤمناً من أعماق بستر الله في هذا ، وبخاصة لأن كثيراً من الأعراب يبيتون في الصحراء بلا خوف ، ولكن قبل لي «إنك بسيط أزيد مما يجب ، ولا تعرف الجبل . لأن الجبل مملوء بالحشرات والديبب ، وهناك خطر الوحوش أيضاً ، وأخطار أخرى من جهة الجو... وظل (العقل) ينصب في أذني ، ليزيل ما في قلبي من بساطة الإيمان... ورجعت ليلتها إلى الدير مع أحد الآباء . ولم يعطني (العقل) وقتذاك فرصة أختبر فيها عمل الله مع السائرين ليلاً في الصحراء ، ولا حتى اختبار إيمان الإعرابي الذي يبيت كل ليلة هناك ، وتبيت معه عناية الله وستره...

أشكر الله أنني عوضت ذلك فيما بعد حينما سكنت في الجبل وحدي .

إن العقل يمكنه أن يصور خطورة في كل مكان . وفي نفس الوقت لا يعطى مجالاً للتفكير في عمل الله... وعلى العكس يطرح غير المؤمن في عقدة الخوف .

ليس معنى هذا أن يلقى الإنسان بنفسه في التهلكة ، بلا حكمة . وإنما إذا احتسب بقدر طاقته ، ثم وجد نفسه فيما يسمونه خطراً ، فحينئذ بكل بساطة يثق في حفظ الله وستره . ويغني مع داود النبي « يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات . وأما أنت فلا يقتربون إليك » (مز ٩١) .

الإيمان البسيط يثق بأن يد الله تتدخل للإنقاذ ولحل كل مشكلة . هو يثق تماماً أن الله كمحب للبشر ، وكصانع للخيرات ، لا بد سيتدخل في المشكلة - حسب وعوده لأولاده - وتمتد يده لحلها . أما كيف يحدث هذا ؟ فهذا ما لا يسأل عنه الإيمان البسيط .

إنه يتقبل عمل النعمة في بساطة ، دون أن يفحص كيف تعمل .

وكم من مرة حاولنا أن نخل مشاكلنا بطرق بشرية . ثم فشلنا هذه الطرق جميعها ، ولم تأت بنتيجة . وكانت بصمات الله واضحة ، فوق كل فكر .

الإيمان البسيط يثق بعمل الله ، عقيدياً ، وعن طريق الخبرة .
الإيمان يدخل الإنسان في دائرة الإختبارات . والإختبارات تعمق الإيمان وتبينه على أسس واقعية وليس على مجرد أسس نظرية . والإيمان والإختبار يقويان بعضهما بعضاً... حتى يصل الإنسان إلى يقين بديهي وهو بساطة الإيمان .

الإيمان البسيط يثق أن كل شيء مستطاع ، وليس هناك مستحيل .
إنه يوقن تماماً أن الله قادر على كل شيء ، ولا يعسر عليه أمر (أى ٤٢ : ٢) . مهما كان صعب الفهم أو صعب الحدوث . إنه يؤمن بقول الرب « غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله » (لو ١٨ : ٢٧) .
وأنا لا تدهشني عبارة « كل شيء مستطاع عند الله » إنما تذهلني عبارة « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

وهكذا فإن الإيمان البسيط الموقن بهذا ، يرتفع فوق كل الشكوك .
إنه إيمان قوى ، أقوى من كل شك . لأن الشكوك هي من عمل العقل ، والعقل معتز بمقاييسه . أما المؤمن فقد اجتاز مرحلة العقل ، وعاش في مجال أعلى منها وأعمق . فأعلى من الشكوك توجد بساطة الإيمان .

مشكلة الدين ، أن البعض يحاول أحياناً أن يحوله إلى فلسفة ، وأن يخرجها من القلب ، ومن الروح ليحصره في نطاق العقل .
وهذا هو الأمر الذى حاربه القديس بولس الرسول بكل قوته ، فقال إن كرازته كانت « لا بحكمة كلام ، لئلا يتعطل صليب المسيح... » (١ كو ١ : ١٧-٢٠) .

يقيناً أن المؤمن البسيط ، الذى يكتنز إيمانه في أعماقه ، فوق مستوى الفحص ، هو أقوى إيماناً من بعض علماء اللاهوت ، الذين يستمدون إيمانهم من الكتب التى يظنون أن لهم فيها حياة... وقد يكون إيماناً يمكن أن تزغزه أفكار عقلية مضادة...

درّب نفسك على حياة الإيمان البسيط . وانتفع بما مرّ في حياتك أو حياة غيرك من خبرات . ولا تجعل كثرة التفكير تبعدك عن الإيمان !

الفصل السابع

طاعة الإيمان

أوحياة التسليم

إن الذى يؤمن بحجة الله له ، وسهره على راحته ، وبحكمة الله وحسن تدبيره لحياته، وبأن الله صانع الخيرات، يعمل لأجله كل خير... هذا يمكنه أن يسلم حياته لله، يدبرها كيفما يشاء .
وهذا الإقتناع يحيا باستمرار فى طاعة الإيمان .

إنه يسلم حياته لله وهو مطمئن وسعيد ...
أما الذى لا يحيا فى حياة التسليم ، فإنه على العكس يعيش قلقاً على حياته، ويظل يفكر: ماذا أكون؟ وكيف أكون؟ ومتى أكون؟ وهل ينبغى أن أغير ما أنا فيه؟ وبأية وسيلة؟ أم أظل كما أنا...؟ ويتعبه التفكير، وغالباً ما يفقد سلامه، ويظل فى سعى مستمر، ومناقشة الأمور مع نفسه، إلى غير نهاية... ولا يفكر مطلقاً أن يستريح، ويترك الأمر لله مثل رجل الإيمان...

الإنسان المؤمن عندما يسلم حياته لله ، لا يشترط عليه شروطاً، ولا يطلب منه ضمانات، ولا يراقب الله فى عمله معه...

إنه واثق بالله كل الثقة ، فى محبته ، وفى حكمته ، وفى قدرته . مؤمناً أن الله يعرف ما هو الخير له أكثر مما يعرف هو. لذلك يسلم حياته فى يدي الله ، وينساها هناك . وهكذا نراه لا يحمل همأ .

مادام هو مؤمناً بعمل الله من أجله ، لا يمكن أن يقلق وهم، ولا يمكن أن يتعب نفسه بالتفكير. فالمؤمن يحيا فى راحة، أكثر من الذى يفكر لنفسه ويتعبه تفكيره...

كثيرون لا يقبلون التسليم لله ، إلا إذا فشلت طرقهم البشرية !
منهجهم الأساسى هو الإعتماد على الذراع البشرى كل الإعتماد: إما اعتداداً بذهنيهم وقدراتهم وحيلهم، أو لتعودهم هذا الأسلوب، أو لخطأ عقيدى عندهم، أو اقتناعاً بأن الله لا يلجأ إليه الإنسان إلا فى حالة العجز وال فشل الكاملين! حينئذ يأتون إلى الله ، لأنهم جربوا كل حيلة وكل وسيلة وما وصلوا إلى غايتهم، ولأن فكرهم تعب وأنك بلا فائدة. فلم يبق سوى الله!

ليس هذا هو الإيمان ، إنما هذا هو الإضطرار إلى الله .
الإيمان هو أن تلجأ إليه في الصغائر ، كما تلجأ إليه في الكبائر .
قال السيد المسيح « بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . ذلك
لأن كل طاقة لنا هي من عنده... حتى الفكر الصائب ، وحتى مجرد الإرادة الطيبة ،
وحتى القدرة على العمل . وذكاؤنا هذا الذي نعتمد عليه ، هو أيضاً من عنده . وما
أصدق قول الرسول « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة »
(في ٢ : ١٣) .

إن عملنا في الواقع ، هو أن نشترك مع الله ، في عمله لأجلنا .
وهذه هي شركتنا مع الطبيعة الإلهية ، شركتنا مع الروح القدس : نشترك
مع الله في العمل . كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس
« نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) .
وكل عمل لا يشترك الله معنا فيه ، لا يكون عملاً مقدساً ، ولا عملاً مباركاً .
وتسليمنا الإرادة لله ، هو نوع من الشركة معه ، نكون فيه كآلات طيبة بين يديه
تعمل مشيئته . هو يسيّرنا كيفما يشاء . وهي تعمل بفكره وإرادته ، أو بتسليم إرادتها
لإرادته ، كشركة الحواس مع المخ...

إن أخطر ما يهدد الحياة الروحية ، هو استقلال الإنسان عن الله .
وهذه هي الخطية الكبرى التي وقع فيها شاوول الملك فرفضه الله (١ صم ١٦) .
كان يعمل بفكره وبتدبيره ، بعيداً عن مشورة الله وعن شركته . ولا يرى أنه محتاج
إلى أن يشترك الله معه في العمل . وكأنه يقول : مادمت أستطيع أن أعمل هذا
العمل ، فسأعمله ، بكل قوة ، وبكل سرعة ، وحتى بدون صلاة... لأن إرادتي
وحدها هي التي سوف تعمله...! وبدون اعتماد على الله . وإن فشلت ، ألجأ إليه!
مادام الله قد وهبني عقلاً وإرادة ، فلماذا لا أستخدمهما؟!... وكثيرون مثل شاوول...

الله قد وهب البشرية العقل والإرادة . ولكن ليس لتستقل عنه !
وليس لكي تعتمد بذاتها . فالكتاب يقول « وعلى فهمك لا تعتمد » (أم ٣ :
٥) . ولنتذكر أن خطيئة الإنسان الأول ، كانت محاولته الحصول على المعرفة بعيداً
عن الله (تك ٣) ...

ومتى بدأ الإنسان يقول « أنا أعرف ، وأنا أقدر ، أنا الحاجة في هذا تتأخر إلى الله !؟ » يكون حينئذ قد بعد عن الإيمان بالله ، ودخل في الإيمان بالأنا (الذات) ال Ego ...

أما المؤمن فلا يكتفي بالإعتماد على الله ، بل يسلمه كل شيء ... ويقول له : حياتي هي صنع يديك ، وهي الآن بين يديك ، إفعل بها ما تشاء . حيثما تسيرني أسير ، وكيفما تصيرني أصير . أنا ليست لي إرادة خاصة ، بإرادتي الوحيدة هي أن أصنع إرادتك ، وأن أتخذ بإرادتك ، فأريد ما تريد أنت ، أنت يا صانع الخيرات ...

لست أقول عن شيء إنني أعرف . فكل معرفة الإنسان هي جهالة عند الله (١ كو ١ : ٢٠) . المعرفة الحقيقية هي من عندك يارب وحدك . أنت هو الحكمة (١ كو ١ : ٢٤) . أنت « المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) .

ولأنني أعترف أنني لا أعرف ، لذلك سلمت حياتي في يديك . أنت تعرف الخير أكثر مما أعرفه . وأنت تعرف الخير لي أكثر مما أعرفه لنفسي . وأنا واثق بحكمتك وبحسن تدبيرك لحياتي . حتى إن شئت لي التجربة أو الضيقة ، فأنا أقبلها باعتبار أنها خير خالص هو من يديك . ولولا ذلك ما كنت أنت المحب ترضاها لي . حقاً في حالات كثيرة ، لا نعرف أين هو الخير !

إن حياة التسليم لا تعرف الشكوى ولا التذمر ، بل تقبل كل شيء برضى وفرح ...

مادمت يا أخى تثق بحكمة الله في تدبيرك ، فلماذا إذن أنت تشكو أو تتذمر أو تنسجر . إذا دخل التذمر إلى حياتك ، فافحص نفسك جيداً ، لئلا يكون إيمانك قد ضف وأنت لا تدري .

الذى يحيا حياة الإيمان والتسليم ، يحيا دائماً في فرح وفي شكر . إنه لا يشكو بل يشكر ، الإبتسامة لا تفارق شفثيه ، والبشاشة لا تفارق وجهه ، والفرح لا يفارق قلبه . إنه يؤمن بحكمة الله ومحبه . ويؤمن أن مشيئة الله دائماً صالحة ومفيدة . وهو يخضع لمشيئة الله في فرح ...

لا يخضع لمشيئة الله في نغصب واضطرار . وكان قلبه يقول لله : « ماذا أفعل

يارب؟ أنت هو القوى وأنا الضعيف. وكل ما تعمله أنا أقبه. وأنا منتظر نهاية هذا الأمر...!!». لا شك أن هذا كلام إنسان متعب في داخله، يتكلم بكلام تدمر في أسلوب تسليم. وليس التسليم هكذا...

إذن ما معنى « لتكن مشيئتك » في حياة الإيمان وحياة التسليم؟

الإنسان المؤمن يقول في رضى قلبي كامل: أنا يارب خاضع لمشيئتك، لأنى أحب مشيئتك من أعماقي، وأثق بك وبها. مشيئتك هذه أصلحت أفكاري، وأصلحت أحكامى على بعض الأمور، وعدلت مسارى وطريقي... ما أجل طررك يارب «ما أبعد أحكامك عن الفحص، وطرقت عن الإستقصاء» (رو ١١: ٣٣). مشيئتك هذه هي أجل أغنية في فى، وأحلى الأخبار في أذنى. فلتكن مشيئتك إذن، لأنه لا توجد مشيئة أخرى أياً كانت أصلح منها. إلى جوارها أشعر بجهالة أية مشيئة تتعارض معها، سواء كانت لى أو لغيرى...

ليست حياة التسليم، هي الخضوع لسياسة الأمر الواقع، دون اقتناع!
وليست هي الخضوع لسياسة الضغط الإلهي (!) الذى يفرض سلطانه عليك
فرضاً! وأنت مضطر أن تخضع له سواء أردت أو لم ترد!!

لا يا أخوتى، ليس هذا هو معنى عبارة « لتكن مشيئتك ». فحياة التسليم تعلمنا أن نشعر بأن مشيئة الله هي الخير الكامل، وهي أصلح ما يصلح لنا، وهي سبب فرحتنا وهجتنا، ولهذا كان داود النبي يتغنى بأحكام الله. ويقول للرب: أحكامك هي درسى. أحكامك هي لذتى. أنا أتأمل أحكامك وأدرسها (مز ١١٩).

التسليم لله ينبغى أن يكون تسليماً حقيقياً، وليس حسب الظاهر.

البعض يظن أنه يسلم حياته لله، بينما يفرض على الله خطئه!

كلها يتصرف الله في حياته، يحاول أن يستوقف الله، ويقول له: إنتظر يارب لأرى ما أنت فاعل بى. لا يصلح هذا الأمر. إعمل كذا وكذا لأستريح. وهكذا يود أن يشغل عند الله وزير تخطيط. هو يخطط، والله ينفذ!!

كلا، ليس التسليم هكذا، إنما هو أن تترك الله يعمل حسبما يشاء، وترضى بما يعمل. ولا تقاوم خطط الله بتصرفاتك. لا تقاوم مشيئته بما تعمله حسب هواك...

الإنسان المؤمن يترك التدبير لله . ولا يقبل أن يدبر نفسه بنفسه .
ماذا كانت خطية أبينا آدم سوى أنه بدأ يدبر نفسه : كيف يصل إلى المعرفة ؟
كيف يصير مثل الله ؟ كيف يكون نفسه وبينها ... وهكذا سقط .

وخطية الشيطان ، هي أنه بدأ يدبر نفسه ، وبينها ويكبرها حسب هواه !
« أصعد إلى السموات . أرفع كرسي فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات
السحاب . أصير مثل العلى » (اش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . إنها خطط تشبه أحلام
اليقظة ، رسمها الشيطان لنفسه « فأنحدر إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب » .

وبالمثل الذين بنوا برج بابل ، جلسوا يخططون لبناء أنفسهم ، ففشلوا .
قالوا « هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء . ونصنع لأنفسنا اسماً
لثلاثين نبتد على وجه الأرض » (تك ١١ : ٤) . فكان تخطيطهم ضدهم . وما
خشوه ، هو الذى صاروا إليه « فبددهم الله على وجه كل الأرض » (تك
١١ : ٩) .

أما الإنسان الروحي فلا يفعل هكذا ، بل فى حياة التسليم يقول :
« إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً يتعب البناؤون » (مز ١٢٧ : ١) .

الله هو الذى بيننا وليس نحن . إذن نسلمه أنفسنا لبيئنا .
وهكذا نعيش فى راحة ، مطمئنين إلى عمل الله فىنا ، وإلى نجاح عمله . نقف
ونتأمل ، فنرى عجائب من تدبيره . واثقين أنه يعمل الخير، مهما كان الذى يحدث
أمامنا غريباً ، أو صعباً ، أو ضد ما كنا نرجوه .

ليس المهم أن نفهم ما يعمل الله . إنما المهم أننا بالإيمان والتسليم نتقبله .
والكتاب المقدس حافل بأمثلة التسليم فى حياة رجال الإيمان :

١ - أبونا ابراهيم مثلاً ، كانت بداية قصته مع الله ، هى قول الله له « أترك
أهلك وعشيرتك وبيت أبيك ، إلى الأرض التى أريك » (تك ١٢ : ١) .

وأبونا ابراهيم لم يسأل لماذا ؟ ولا إلى أين ؟ بل أطاع ...
هذه هى حياة التسليم ، التى لا تجادل ولا تناقش ، بل تقبل وتطيع ، بلا
تردد . تدع فهمها جانباً ، وتركز على أمر الله .

٢ - وهكذا كان نوح في الفلك ، وكان يونان في بطن الحوت ، وكان موسى في البحر الأحمر... في حياة تسليم كامل .

إنها طاعة الإيمان . مادام الله يريد هذا ، فنحن لا نناقشه . وما هو عقلنا المحدود الضعيف ، حتى يناقش الله غير المحدود ، كلى الحكمة...؟! إن موسى في بدء إرساليته جادل الله في كيف يدخل إلى فرعون (خر ٣) ، ولكنه لما نما في الإيمان والتسليم لم يجادل في دخوله البحر الأحمر...

٣ - القديسة العذراء مريم عاشت كمثال لحياة الطاعة والتسليم .

مع كل محبتها للبتولية ، قيل لها أن تخطب لرجل وتعيش معه في بيت واحد ، فأطاعت . وأرسل لها الله ملاكاً يقول لها إنها ستحمل وتلد ، فقالت له « هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك » (لو ١ : ٣٨) ... ومع ولادتها لله الكلمة ، ورؤيتها كل ما أحاط بهذا الميلاد من معجزات ، قيل لها أن تهرب به إلى مصر وتتغرب هناك ، فقبلت كل ذلك في طاعة الإيمان . وفي تسليم أيضاً رجعت من مصر ، وقبلت أن تسكن في الناصرة (متى ٢ : ٢٣) ، التي قيل إنها لا يخرج منها شيء صالح (يو ٤٦ : ١) .

وكان شعارها في حياة التسليم هذه ، عبارتها الخالدة « ليكن لى كقولك » .

٤ - ولعل الإيمان والتسليم يظهران في حياة الرسل في طاعتهم التلقائية لقول الرب « إتبعنى » أو « هلم ورائى » .

هكذا قال الرب لمتى (لاوى) . وهو في مكان الجباية (مر ٢ : ١٤) فلم يناقش وإنما « ترك كل شيء وقام وتبعه » (لو ٥ : ٢٨) . ولم يفكر مطلقاً في كل مسؤولياته وعمله .

وبالمثل لما دعا الرب بطرس وأندراوس وباقي الرسل ، يلخص القديس بطرس كل قصص هذه الدعوة بقوله للرب « تركنا كل شيء وتبعناك » (لو ١٨ : ٢٨) .

إنها طاعة الإيمان التي تتبع الرب حيثما ذهب ، بلا سؤال ، بلا استفسار ، بلا تفكير في المستقبل . وكما سنشرح أن كلاً منهم أطاع ، وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب ١١ : ٨) .

ونحن كثيراً ما ندعى ، فنحاول أولاً أن نطمئن على مستقبلنا .

لذلك نسأل الكثير من الأسئلة . ونحصل على ما نستطيعه من الضمانات .

وبكل هذا نخرج من الإيمان إلى العيان... إلى المستقبل الذى نراه بعينونا ونطمئن إليه ، وليس إلى المجهول الذى نراه بالإيمان ، ونقبله بحياة التسليم والطاعة...

٥ - من أمثلة حياة الإيمان والتسليم والطاعة ، أرميا النبي .

سار وراء الله بالإيمان ، فى طرق لم يفكر مطلقاً أن يسير فيها... وأخيراً لخص خبرته فى حياة التسليم فى عبارة عميقة قال فيها «عرفت يارب أنه ليس للإنسان طريقه . ليس لإنسان يمشى أن يهدى خطواته» (أر ١٠ : ٢٣) . ولماذا لا يهدى خطواته ؟ لأن الله هو الذى يقود هذه الخطوات ويهدها...

هذه هى حياة التسليم ، أن تسير وراء الله ، وليس وراء فكرك .

تسير ليس وراء هواك ورغباتك ، وليس وراء مشيئة الناس أو مشورة الناس ، إنما وراء الله نفسه الذى يقود حياتك . يضعها فى أى وضع ، وفى أى موضع ، حسب أعماق حكمته . فاسأل نفسك هل الله هو الذى يقود حياتك ؟ أم تقودها رغبة معينة ، هى التى تحدد تصرفاتك ومسير خطواتك ؟

٦ - من الأمثلة العجيبة فى حياة التسليم : يوسف الصديق .

أظهر له الله بالرؤى أنه سيصير سيداً لإخوته ، وسيسجدون له جميعهم (تك ٣٧ : ١٠) . فإذا كان تحقيق الوعد ؟ أخذه إخوته وألقوه فى بئر ليقتلوه . ثم باعوه كعبد . وسحبه المديانيون من البئر ليبيعوه للإسماعيليين (تك ٣٧ : ٢٨) . ثم بيع لفوطيفار ليخدم فى بيته...

وفى كل هذا لم يحتج يوسف متذمراً على الرب وعلى أحلامه ...

بل سكت . وسلّم فى هدوء لما سمح به الرب ، وسلك بكل أمانة وإخلاص . وقبل الحياة كخادم... ولكنه رضى بالبلوى ، والبلوى لم ترض به ! فإذا بتهمة باطلة رديئة تلفق ضده ، ويلقى به فى بيت السجن كفاعل إثم... !

ولم يحدث أن يوسف سأل الرب لماذا ؟ ... أو أين هى وعودك ؟

سكت فى مثل رائع لحياة التسليم وطاعة الإيمان . ولم يتذمر مطلقاً . وفى المرة الوحيدة التى خرج فيها قليلاً جداً عن حياة التسليم ، وقال لرئيس السقاة بعد أن فسر له حلمه «حينما يصير لك خير ، تصنع إلتى إحساناً ، وتذكرنى لفرعون ، وتخرجنى من هذا البيت» (تك ٤٠ : ١٤) ... لما فعل هذا ، أجاب الوحي الإلهى على هذا

الطلب بقوله « ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف ، بل نسيه » (تك ٤٠ : ٢٣) ...
ولكن الله لم ينس يوسف ، الذى بقى فى السجن فى حياة التسليم ، حتى أخرجه
الله منه بمجد عظيم ...

٧ - ومن أمثلة حياة التسليم وطاعة الإيمان : داود النبي .

كان « يرعى الغنيمات القليلات فى البرية . » وأرسل له الله صموئيل النبي
ومسحه ملكاً . ولكنه لم يسلمه من الملك شيئاً ... وبقى يرعى الغنيمات القليلات ،
دون أن يتذمر . ثم اختير خادماً للملك شاول المرفوض من الله الذى بغته روح
ردىء من قبل الرب (١ صم ١٦ : ١٤) ... ولم يحتج داود .

لم يقل أنا الملك المختار من الله . فكيف أخدم هذا المرفوض ؟!

بل فى حياة التسليم تقبل الوضع . وكان يهدىء شاول الملك حينما تبغته
الشياطين ... وظل شاول يطارد داود من برية إلى برية ، ويحاول قتله ، حسداً منه
وغيره ... ولم يحدث مطلقاً أن داود ناقش الله ، أو قال له أين مواعيدك ؟ أين المسحة
المقدسة من النبي العظيم ؟ ولم يقل له ماذا فعلت من شر حتى أستحق كل
هذا ؟! ... بل انتظر ، فى هدوء وفى تسليم ، خلاص الرب . وقد كان ...

٨ - ومن أمثلة حياة التسليم : تلاميذ الرب .

دعاهم الرب للخدمة كما قال لبطرس وأندراوس « هلما ورائى فأجعلكما
صيادى الناس » (متى ٤ : ١٩) . ومرت ثلاث سنوات وهم يتبعونه ، دون أن
يخدموا . ولم يصيدوا أحداً . ثم ضلب الرب . وخافوا ، وأغلقوا على أنفسهم فى العلية
لئلا يصيدهم اليهود ... ومع كل ذلك لم يشكوا . وبقوا فى حياة الإيمان والتسليم .

وأخيراً بعد حلول الروح القدس ، تمم الرب وعده . وفى يوم واحد تمكن
بطرس بعظة واحدة من أن يصيد ثلاثة آلاف نفس ... ولو أنه كان كل يوم يصيد
نفسين ، ما وصل إلى هذا الرقم كله ، ولكن حياة التسليم تقول للرسول : « إنتظر
الرب . تقوّ ، وليتشدد قلبك . وانتظر الرب » (مز ٢٧ : ١٤) .

نعم يارب سأنتظر وعدك فى صيد الناس . ولكن هل إلى ثلاث سنوات وأكثر؟
إنه لكذلك . ولكن « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الله فى
سلطانه وحده » (أع ١ : ٨) .

إن حياة التسليم لا تناقش الرب فى مدى الإنتظار الطويل لمواعيده .

إنها لا تقول له : لماذا يارب تجعل بطرس ينتظر أكثر من ثلاث سنوات ليصير صياداً للناس؟ ولماذا تترك ابراهيم ينتظر خمسة وعشرين عاماً حتى تحقق له وعده في ميلاد اسحق؟ ولماذا تترك داود في مملكته من شاول عشرات السنوات، حتى تحقق له اختيارك له ملكاً...؟

إن حياة التسليم لا تشك ، وترى في الإنتظار حكمة إلهية .
فقد كان داود صبياً حين اختياره . وكان الإنتظار نافعاً له حتى يكبر وينضج ، وحتى يزداد الناس حباً له يوماً بعد يوم . كذلك كان الإنتظار نافعاً لبطرس حتى تكتمل تلمذته للرب ، وحتى يحين موعد حلول الروح القدس لينال به قوة هو وسائر الرسل . كذلك كان الإنتظار نافعاً لولادة اسحق ، ليصير ابناً للموعود...

٩ - من أجل الأمثلة في حياة التسليم : تقديم اسحق محرقة .

لقد صبر ابرآم خمساً وعشرين سنة ، حتى ولد له اسحق ، ابنه المحبوب الذي أخذ المواعيد من أجله . وفرح به فرحاً لا يوصف . وكبر اسحق . وإذا بالرب يقول لأبينا ابراهيم «خذ ابنك ، وحيدك ، الذي تحبه ، إسحق... وأصعده محرقة على أحد الجبال الذي أريك» (تك ٢٢ : ٢) ... أى قلب يمكنه أن يحمّل هذا؟! وأى عقل يسمع هذا ولا يشك...؟!!

ولكن أبانا ابراهيم في حياة التسليم ، لم يناقش ، ولم يتردد في التنفيذ . بل بكر صباحاً ، وأخذ إسحق ليذبحه... ولم يحسب نفسه أحق من الله... ولم يشك في محبة الله ولا في حكمته...

إن الطاعة لا تكون في الأمور السهلة فقط ، وإنما تظهر في قة سموها في الأمور التي تبدو صعبة جداً في التنفيذ .

حياة التسليم تظهر في الدخول من الباب الضيق والطريق الكرب .
مادمت أنت يارب موافقاً على هذا الباب الضيق ، فإنه يكون أصلح الأبواب للدخول . ولا نناقشك... بل نفرح بذلك ، ونرى أنك تختبر به محبة أولادك ، ونقاوة قلوبهم ، وتعد به لهم أكاليل في ملكوتك...

وهذا الإيمان ، إستقبل الشهداء والمعترفون كل أنواع الآلام في فرح . وكل أولادك يارب كانوا «يحسبونه كل فرح حينما يقعون في تجارب متنوعة» (يع ٢ : ١) .

لا يعلم إلى أين يذهب

« بالإيمان ، إبراهيم لما دعى أطاع ...
فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب »
(عب ١١ : ٨)

١ - هكذا سار أبونا إبراهيم وراء الله ، إلى المجهول ... لم يكن يعلم إلى أين الطريق ، إنما كان واثقاً أن الله يصحبه في الطريق ، ويرشد خطاه...

٢ - وهكذا حدث مع آبائنا الرسل الأبطال ، لما دعاهم الرب فتبعوه . وهم لا يعلمون إلى أين ... إذ لم يكن للمسيح مقر معروف ، بل لم يكن له أين يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) . كان يطوف المدن والقرى يعلم ويشق ، مع أنه لم تكن له وظيفة رسمية في المجتمع اليهودي ... ولم يكن له دخل مالي معروف . وحتى لما دعا تلاميذه ، قال لهم « لا تحملوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ... ولا تحملوا معكم شيئاً للطريق » (متى ١٠ : ٩ ، مر ٦ : ٨) .

ولو سألت أحد تلاميذه وقتذاك : ما هو عملك ؟ وما هو مستقبلك مع المسيح ؟ لوقف وأوقفك معه ، أمام علامة استفهام كبيرة لا يعرف لها جواباً ، سوى حياة التسليم ... يكفيه أنه سائر مع المسيح ، مع أنه معه وفي وجوده لا يعمل شيئاً ... المسيح يعمل كل شيء ، وتلاميذه مجرد متفرجين .

٣ - خذوا مثلاً لذلك القديس مار مرقس الرسول حينما دخل الإسكندرية :

دخلها وهو لا يعلم إلى أين يذهب ، إذ لم تكن هناك كنيسة يستقر فيها ، ولم يكن له هناك شعب ، ولا مسكن ... بل على العكس كانت الوثنية في كل مكان ، وكانت اليهودية تقاوم الإيمان ... ولكن بالإيمان جاء مار مرقس إلى مصر ، وأرشد الله خطاه إلى إنيانوس ، وما كان في فكره هذا الأمر...

وما حدث لمار مرقس ، حدث تقريباً لباقي الرسل . تتنوع الأمكنة والأسماء ، ولكن قلب الموضوع واحد . وكأن كل رسول كان يقول :

لو كانت الخدمة عملاً بشرياً ، لكان يهمنى أن أعرف خطة مسيرى . أما والخدمة عمل إلهى ، فلا يهمنى إلى أين أذهب . أنا مع الله . حيث قادنى أسير .

٤ - يوحنا المعمدان كان يرى أن واجبه هو أن يشهد للحق . فشهد للحق ، وقال لهيرونوس الملك « لا يحل لك » ولم يهتم بعد ذلك إلى أين يذهب : إلى السجن ، إلى الموت ... ليكن ما يكون . رسالة الله تتم فى طاعة إيمانية كاملة . أما الحياة ، وأما المصير ، فهما مسلمان لله ... إلى التمام .

وهكذا كان بولس الرسول يشهد للرب ... وبعد ذلك لا يهمنه إلى أين يذهب : « أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف » ، يقول فى ثقة بحياة التسليم « لكننا فى هذه جميعها ، يعظم انتصارنا بالذى أحينا » (رو ٨ : ٣٥ ، ٣٧) .

بهذا الأسلوب ، سار أولاد الله جميعهم فى طريق الحياة فى حياة التسليم . كل ما يهمنهم هو أن الله يقودهم . ولكن لا يعينهم إلى أين ... ولكنهم واثقون بالإيمان ، أنه سيقودهم إلى المراعى الخضراء ، وإلى ينابيع الماء الحى . خبرتهم مع الله تجعلهم مسرورين بقيادته ، واثقين بمحبته .

٥ - إسحق بن ابراهيم حمل الخطب وراء أبيه ، ولم يعلم إلى أين يذهب . كل ما تعلمه فى حياته ، هو التسليم والطاعة ، وهما سار حتى إلى المذبح . وربطه إبراهيم أبوه ووضع على المذبح فوق الخطب (تك ٢٢) ، ورفع عليه السكين . كل هذا وإسحق فى تسليم كامل . لم يشك فى محبة أبيه ، ولم يشك فى محبة الله ... وانتصر على طول الخط . بتسليمه هذا ، كسب طاعة الإيمان ، وكسب حياته ، وكسب وعود الله ...

٦ - لعازر الدمشقى لما سافر ليختار زوجة لإسحق ، ما كان يعلم إلى أين يذهب .

ولكنه سلم خطاه لله ليرشده . ودبر الله له كل شىء بطريقة عجيبة وقف أمامها مذهولاً . وتم كل شىء حسب طلب منه سيده ابراهيم . ولهذا قال « الرب

أنجح طريقى» (تك ٢٤: ٥٦).

ولعل لعازر الدمشقي كان يقول «لم أكن أعلم إلى أين أنا أذهب . لكنى كنت أعلم تماماً أن الله ذاهب معى» .
ونفس الوضع تقريباً حدث ليعقوب فى رحلته إلى خاله لابان . وما أجل قول الرب له «ها أنا معك . أحفظك حيثما تذهب» (تك ٢٨: ١٥) .

٧ - الشعب فى البرية ، أتراه كان يعلم إلى أين يذهب !؟

ما كان يعلم شيئاً . كان الله يقوده يوماً بيوم . وكان يرتحل بإرشاد إلهى ، ويقف بإرشاد إلهى . وكان هذا الإرشاد يتمثل فى السحابة تظله نهاراً ، وعمود النار يهديه ليلاً... والشعب فى تسليم كامل لقيادة الله ، لا يسأله إلى أين...؟
وما كانت أمام موسى النبى خطة لمسيره ، ولا خريطة لمسيره . وكأنه يقول :
يكفيننا يارب أن تكون سحابتك فوق رؤوسنا ، وعمود النار أمامنا . نحن لا نحدد مسارنا ، إنما تحدده مشيئتك الصالحة . أما نحن فيسعدنا أننا تحت قيادتك . حيثما سارت سحابتك نسير . وحيثما حلت نستظل تحتها... يفرحنا أننا نرى فوق تابوت العهد الضباب الذى يمثل وجودك .

فلتتحرك خيمة الاجتماع فى البرية نحو المجهول . إنه مجهول بالنسبة إلينا . ولكنه فى علمك ومعرفتك منذ الأزل . وهذا يكفيننا ، لكى نسلّم خطانا لهذا المجهول ، ونحن فى ملء الثقة بأننا فى طريق كنعان...

٨ - القديس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان ، حينما دخل إلى الجبل ،

أتراه كان يعلم إلى أين يذهب !؟ وكذلك القديس الأنبا بولا أول السواح ...
وأيضاً كل السواح والمتوحدين حينما توغلوا فى البرية الجوانية ، ما كان أمامهم هدف مكافئ معين يقصدونه . كل ما كان أمامهم هو الهدف الروحى وهو أن ينفردوا بالله فى حياة السكون والهدوء ، مسلمين حياتهم بالكلية له «تائهيين فى البرارى والجبال وشقوق الأرض» ...

تسأل كل واحد من التائهيين فى البرارى : أتعلم أين أنت ؟ فيجيبك :

على خريطة المكان ، لست أعلم أين أنا ...

ولكن على خريطة الحب ، أعلم أنى فى حضن الآب .

٩ - ولعل البعض يسأل : أما ينبغي أن يحسب كل إنسان حساب النفقة ، حسب وصية الرب نفسه (لو ١٤ : ٢٨) ؟

إن حياة الإيمان ، هي أبعد ما تكون عن علم الحساب الذى يقصدونه . إذن ما الذى يقصده الرب بأن يجلس الإنسان أولاً وبحسب النفقة ؟
حساب النفقة هو : هل عندك من الإيمان ما يكفي ؟

هل عندك من الإيمان ما تسلّم به الأمر كله لله لكى يدبره ؟ إنك تفعل ما تستطيعه . ولكن هذا هو أقل المطلوب . أما العنصر الأساسى فهو إيمانك بما يفعله الله ، وتسليمك له كل الأمر...

وهذا كان منهجنا ، حينما كنا نريد أن نبني كنيسة أو أى مشروع للخدمة والرعاية . لم يكن السؤال الأساسى هو « من أين التكاليف ؟ » ، إنما كان السؤال الأساسى هو : هل الله موافق على هذا البناء أم لا ؟ فإن كان موافقاً فهو الذى سيقوم بكل تكاليفه . وما علينا إلا أن نبدأ ، ويد الله تكمل العمل معنا « وإن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً يتعب البناءون » (مز ١٢٧ : ١) .

الإيمان هو أن تغمض عينيك ، وتبصر الله .

طالما أنت تفتح عينيك ، فأنت تسير بالحواس الجسدية . أما إن أغمضت هذه العين الجسدانية ، حينئذ سوف تسلك بالقلب والروح .
إن تأكدت بحواسك الروحية أن الله سيذهب معك فى طريق ، سرفيه ولو كان فى وادى ظل الموت . يقيناً ، هناك سوف لا تخاف شراً لأن الرب معك (مز ٢٣) .

١٠ - هذه هي حياة التسليم ، التى فيها يختار الرب لنا ما نشاء ، دون أن نختار نحن لأنفسنا . آخذين درساً من قصة لوط وإبراهيم .

لوط اختار لنفسه السكنى فى سادوم ، الأرض المعشبة (تك ١٤ : ١٠ ، ١١) . وكان يعلم إلى أين يذهب . أما إبراهيم فلم يختار لنفسه شيئاً . إنما قال له الرب « إرفع عينيك وانظر... جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها » (تك ١٠ : ١٤ ، ١٥) ... وماذا كانت النتيجة ؟ لوط سبى وهو فى سادوم وأنقذه إبراهيم (تك ١٤) . ثم احترق كل ماله فى سادوم وخسر الكل ...

وهكذا كانت حياة التسليم التى لإبراهيم ذات نتيجة أفضل ...

الفصل الثامن

مَا يَتَّقِي الْإِيمَانَ

٩ - إختبر إيمانك بصفات الإيمان السليم :

هل إيمانك إيمان عملي ؟ هل هو ثابت لا تزعزعه الظروف ؟ هل هو لا يضعف ولا يشك ؟ هل هو مملوء بالسلام لا يعرف خوفاً ؟ وهل تعرف حياة التسليم وطاعة الإيمان ، وهل إيمانك إيمان حى مشمر ؟ وهل هو ينمو ويزداد ؟ وهل ...
لست أريد أن أذكر باقى صفات الإيمان لتتحنن بها نفسك .
إنما إن أردت مزيداً من الموازين ، يمكن أن تعيد قراءة هذا الكتاب من أوله .

الكتاب المقبل

هناك ثلاثة كتب فى طريقها إلى المطبعة ، وإليك :

- ١ - كتاب « حروب الشياطين » وهو الجزء الأول من مجموعة (الحروب الروحية) .
- ٢ - كتاب الجزء الثالث من سنوات مع أسئلة الناس .
- ٣ - كتاب « الرجاء » وهو الجزء التالى لهذا الكتاب الذى بين يديك « حياة الإيمان » . وبعدهما كتب عن (المحبة) لتكمل المجموعة .

١١ : ١٩) . هذا هو « الله الذى آمن به ، الذى يحمى الموقى ، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » (رو ٤ : ١٧) .

بالإيمان بقدرة الله على كل شيء ، دخل موسى فى البحر الأحمر وعبره . ودخل يشوع فى نهر الأردن وعبره ، كل منها مع شعبه ...

د - كذلك ينبغى أن تثق بحكمة الله ، وبأن كل تدابيره سالحة ، حتى لو كنت لم تفهم بعد أعماق هذه الحكمة ...

إن آمنت بحكمة الله ، تعيش فى سلام ، وتقبل كل شيء برضى . أما إن كانت (حكمتك) البشرية لا تثق بحكمة الله ، ستعيش فى تدمير وشكوى وتعب نفسى ... لذلك فى كل ما يحدث لك ، قل له : أنا واثق يارب بحكمتك وحسن تدبيرك . وإن كان فهمى الآن عاجزاً ، لا بد أننى سأعرف بعد حين ما قصدته بى ، كما عرف يوسف الصديق .

إن تثقت بأن الله صانع الخيرات ، وأنه أب محب ، وحكيم فى تدابيره ، ويريد لك الخير ، وقادر على ذلك ... كل هذا يعمق إيمانك ، ويمنحك سلاماً فى قلبك ... هناك وسيلة أخرى لتقوية الإيمان ، وهى :

٢ - الثقة فى صدق مواعيد الله :

لقد وعد الله أبانا ابرآم بأنه سوف يعطيه نسلأ ، وأعطاه ولو بعد زمن . ووعد به بأن نسله سيكون كنجوم السماء فى الكثرة ، وقد كان ... مع أن زوجته كانت عاقراً ، وكان هو قد تقدم فى الأيام وشاخ .

ووعد الله شعبه بأنه سيرده من السبي . وردّه كما وعد .

ووعد إيليا وقت المجاعة ، بأنه سيعوله . وعاله بأعجوبة (١ مل ١٧ : ٣ - ٦) .

ووعد الله أمنا حواء بأن نسلها سيسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) . وقد

حقق هذا الوعد على الصليب فى ملء الزمان .

ووعد الله بأنه سيسكب روحه على كل بشر (يوثيل ٢ : ٢٨) . وفعل ذلك

فى يوم الخمسين ، ومازلنا هياكل لروحه القدس (١ كو ٣ : ١٦) ...

وعود الله كلها صادقة . ويعوزنا أن نتتبع وعود الله منذ القديم .

ولكن هناك وعوداً دائمة لله ، يربحنا أن نحيا فيها بالإيمان .

وذلك كقوله « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨ : ٢٠) ، «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠) ، «أعطيكم فإ وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها» (لو ٢١ : ١٥) ، «لا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ، لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به . لأنكم لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم» (متى ١٠ : ١٩ ، ٢٠) . وكذلك قوله عن الكنيسة إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦ : ١٨) .

ليتنا نعيش في هذه الوعود بكل قلوبنا ، لكى تقوى إيماننا . وليتك أيها القارئ المحبوب تجمع كل وعود الله وتقرأها باستمرار . وتقول لنفسك : لا بد أن يكون الله صادقاً في وعده . وبالتالي لا بد أن أعيش سعيداً بهذه الوعود الإلهية ... إن دوام التذكارات لوعود الله ، يطمئن النفس ، ويقوى الإيمان ... وأيضاً مما يقوى الإيمان :

٣ - النظر إلى الله ، وليس إلى الظروف المحيطة :

قبيل عبور البحر الأحمر ، كل الظروف المحيطة كانت تدعو إلى اليأس . أما موسى النبي فإنه دعا الناس أن ينظروا إلى الله ، وقال لهم «قفوا وانظروا خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) . كذلك في حرب داود وجليات . لو نظر إلى الجبار القوى المنجدى ، ليثس . لكنه بالإيمان نظر إلى الله الذى سيحبسه في يده (١ صم ١٧) . نفس الوضع في معجزة الخمس خبزات والسمكتين . لما نظر التلاميذ إلى الطعام الموجود ، والآلاف المنتظرة ، قالوا «ما هذا لمثل هؤلاء؟!» . ولكن المسيح نظر إلى فوق وبارك . ولو نظر التلاميذ هكذا بالإيمان إلى فوق ، لاطمأنوا ورأوا قوة الله . مرثا نظرت إلى قبر أخيها الميت منذ أربعة أيام ، فقالت قد أنتن . أما الرب فقال لها : ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله (يو ١١ : ٣٩ ، ٤٠) . إذن علينا أن ننظر دائماً إلى فوق ، فيدخل الإيمان إلى قلوبنا .

ننظر إلى الله المحب القادر على كل شيء ، ولا نركز أفكارنا في الظروف المحيطة .

لا ننظر إلى قوة أعدائك ، إنما أنظر إلى الله الذى ينقذك منهم .
لا ننظر إلى الخطية التى « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء » (أم ٢٦ : ٧) ، إنما أنظر إلى الرب يسوع الذى « يخلص شعبه من خطاياهم » (متى ٢١ : ١) .

كذلك من الأمور التى تقوى الإيمان :

٤ - قصص الإيمان ، ومعاشرة رجال الإيمان :

وهكذا عندما أراد الله أن يعطى دروساً في الإيمان ، قال « تأملوا زنابق الحقل... ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها » (متى ٦ : ٢٨ ، ٢٩) . فإن كان عشب الحقل... « يلبسه الله هكذا » « أفليس بالحرى يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان » .

وقال أيضاً « أنظروا إلى طيور السماء » . وفي إحدى المرات ، فعلت كما أمر الرب ، ونظرت إلى عصفورة في حقل الدير... أمامها الكثير من الحبوب . ولكنها التقطت اثنتين أو ثلاثاً ، وتركت الباقي كله وطارت « لم تجمع إلى مخازن » كما قال الرب . كانت واثقة أنها في كل مكان تحمل فيه ، سيرزقها الله قوتها ، فلماذا تخزن إذن ؟ أو لماذا تترك الجوع العالى الفسيح ، وتقع إلى جوار الحبوب لتخزن كما تفعل زميلتها الغملة (القليلة الإيمان !) التى لا ترتفع إلى فوق... .

وقد أعطانا الرب مثالاً شبيهاً في قصة (المن) وجمعه .

كانوا يجمعونه ، على قدر حاجتهم ، يوماً بيوم ، دون أن يخزنوا ... والذين خالفوا هذه القاعدة وخزنوا مناً « تولد فيه الدود وأنتن » (خر ١٦ : ٢٠) .

كلما يقرأ الإنسان قصصاً عن الإيمان ، والثقة بالله ، والأعاجيب التى تحدث مع قديسيه ، يمتلئ قلبه إيماناً ، ويحب هذه الحياة المملوءة إيماناً... كذلك كلما يعاشر رجال الإيمان ، يتعلم منهم ، وتثيره حياتهم وعمل الله معهم ، لكى يتمثل بإيمانهم « (عب ١١ : ٧) . لذلك قال أحد الآباء « شهية هى أخبار القديسين » ...

من أجل هذا سجل لنا الكتاب سيراً من الإيمان ، لتأثيرها وتعلم .
ولكى تقوى إيماننا ، إذ نرى أماننا أمثلة عملية لحياة الإيمان التى نشتهيها . ونرى
أماننا الطريق الذى سلكه رجال الإيمان . وكيف عاملهم الله ، وكيف تعاملوا
هم معه ... وماذا أيضاً ؟

إن كانت القراءة تؤثر ، فإن المعاشرة تأثيرها أعمق بلا شك .
لذلك عاشروا الذين يتصفون بالإيمان ، وامتنصوا للإيمان منهم . فإن الإيمان يناله
الإنسان بالتسليم ، أكثر مما يناله بالتعليم . أنظروا كيف يعيشون ، وكيف يظهر
الإيمان فى حياتهم ، وكيف يتعاملون مع الله ، وكيف يتصرفون إزاء الأحداث ...
وإن أردتم أن تقووا إيمانكم ، لا بد من صفة تتصفون بها وهى :

٥ - إتضاع القلب والفكر :

الإنسان المتضع يقبل كل ما يأتى من الله برضى . أما الفكر المعتد بذاته
فإنه يناقش ويجادل ، ويرفض ما لا يعجبه ، فلا يصل إلى الإيمان الذى يصل إليه
المتضع .

الإنسان المتضع يعترف أن عقله محدود ، وكل قدراته محدودة ، ولا يمكنه
أن يستوعب الله غير المحدود ، ولا يدرك أعماق حكمته وصفاته . لذلك يقبل فى
إيمان ولا يشك . وإن ضغط عليه الفكر ، ينسكب أمام الله ويقول «أحكامك يارب
فوق فهمى ، وأعمالك فوق معرفتى . من أنا قدامك ؟ وكل معرفتى هى جهالة
أمامك .

أنا آخذ منك عن طريق التسليم ، وليس عن طريق الفحص ...
أعطى يارب إيمان الأطفال ، وليس إيمان الفلاسفة والحكماء (لو ١٠ : ٢١) .
حادثه مثل إلقاء الثلاثة فتية فى أتون النار ، دون أن يحترقوا (دا ٣ : ٢٥) .
هذه ، هل نخضعها لفهمنا المحدود ، أم نتقبلها بالإيمان فى إتضاع الفكر الذى ينحنى
أمام المعجزة؟! والمعجزة هى عمل الله القادر على كل شىء ...
الإيمان يحتاج إلى إتضاع الفكر وبساطة القلب ، وأيضاً إلى :

٦ - الخبرة مع الله :

إلى نفسك في دائرة الله . عش معه واختبره . جرب الإتكال عليه . حينئذ سترى عجائب من عمله معك . أما إن كنت طول حياتك تحصر نفسك في دائرة إمكانيات الفكر، والذكاء البشرى، وخبرات المجتمع، ومشورات الناس، بعيداً عن الله، تأكل كل يوم من شجرة معرفة الخير والشر، فكيف تصل إذن إلى الإيمان؟! إذن إختبر عملياً وجود الله في حياتك . عاشره لتعرف من هو . وكما قال داود النبي « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٤: ٨) .
ولعل سائلاً يسأل : وكيف ندخل في الخبرة مع الله ؟ أقول :

٧ - إبصر الله في كل أمر :

الناس لا يقوى إيمانهم ، لأنهم يعيشون في عالم ، فصلوه عن الله . كل ما يحدث في هذا العالم ، يرجعونه إلى أسباب عديدة ولا يذكرون إسم الله كأنما الكون يدور... بدون الله .

أ - مثال : العالم يستطيع أن يحطم الذرة ، ويستخدم القوة النووية ، ويصنع سفن الفضاء ، ويصل إلى القمر، ويدور حول الكون ، ويتعامل مع الإلكترونيات... ويصرخ الناس ويقولون: ما أعظم العقل البشرى! أو ما أعظم الشعب الذى اخترع كل هذه المخترعات...! ولا يذكرون إسم الله إطلاقاً...
أما المؤمن فيقول : مبارك أنت يارب الذى خلقت هذا العقل البشرى، وهبته كل هذه الإمكانيات، وكشفت له ما وضعته في الطبيعة من قوى... إن كان عبيدك الترايبون يعرفون كل هذا، فكم وكم تكون أنت يا غير المحدود، القادر على كل شيء؟! وهكذا يقوى إيمان المؤمن بإرجاعه كل قوة وكل عجيبة إلى الله...

ب - مثال آخر : يمرض إنسان بمرض خطير . ويستطيع طبيب أن ينقذه من الموت فيشفى . وينذهل المريض وأقرباؤه من مهارة الطبيب، ويشكرونه في الجرائد ومدحونه . ويعتبرونه سبب الشفاء . أما الله فلا يتردد إسمه مطلقاً على أفواههم . ولكن المؤمن يقول : نشكر الله الذى شفى المريض، وكانت يده مع يد الطبيب .

ج - مثال ثالث : إنسان يتعرض لحادث تصادم يكاد يودع، بجيئه، نولاً أن سائق العربة يوقفها بمهارة على بعد سنتيمترات من الرجل . ويصرخ الناس : بالمهارة السائق ! بينما المؤمن يقول : لقد منح الله هذا الإنسان عمراً جديداً...

ليتك في كل حادث ، تبحث عن أصعب الله فيه ، ليقوى إيمانك .
إبحث عن حكمة الله وعمل الله في كل ما يربك من الأحداث اليومية ، حينئذ ستجد الله كائناً أمامك كل يوم ، تلمسه وتتعامل معه ، وتشعر بوجوده في كل ما يمر بك من صغيرة وكبيرة . وهذا يزداد إيمانك يوماً بعد يوم .

د - مثال رابع : المؤمن إذا مرّ على حديقة ورأى زهرة من الزهور، لا يكتفى بالتمتع بشكلها ورائحتها كما يفعل العلمانيون... إنما يقف أمامها مندهلاً ويقول : ما هذا الجمال الذي خلقتة يارب ؟! وما هذه الألوان العجيبة التي يعجز أمهر الفنانين عن أن يصنعوا مثلها... لاشك أن الزهور الصناعية جميلة ومتقنة ، ولكنها ليست في هذا التناسق ، كما أنها لا حياة فيها، ولا نضارة، ولا رائحة لها . إنها جمال ميت... !

حقاً ، إن التأمل في الطبيعة بهذا الأسلوب ، يقوى الإيمان ...
أهل العالم يتأملون الطبيعة منفردة ، قائمة بذاتها ، وقد فصلوها عن الله . أما الذي يريد أن يقوى إيمانه ، فإنه يرى الله في الطبيعة... أليست هي صنعة يديه ؟... وهكذا كان داود النبي يقول « السموات تحدث بحمد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه (مز : ١٩ : ١) . أتراك تعجب بليلة قرية جميلة ، دون أن تمجد الله خالق القمر ؟!
تذكر الله هكذا ، ليكون الله بالنسبة إليك حقيقة عملية ، وليس مجرد حقيقة عقلية تشبها البراهين... بهذا تحيا مع الله كل يوم .

إن أردت أن يقوى إيمانك ، لا تفضل مخلوقات الله على الله .
لا تبهرك الطبيعة ، وتنسى الله خالقها . لا يبهرك العقل البشرى وتصرفه في المادة . وإنما قل : عجيب أنت يارب ! كيف خلقت المادة هكذا ، بهذه الخاصية وهذا المفهوم ، بحيث يمكن للعقل أن يستخدمها في كل هذه الأغراض... ! أترانا نعجب بطبيب يستخلص دواء من مادة معينة، بينما ننسى الله الذي وضع هذه

الخاصية في تلك المادة، حتى يمكنها أن تخدم غرض الطبيب...!
أمر آخر يمكنه أن يقوى إيمانك وهو :

٨ - إتخذ الرب صديقاً لك :

لوفعلت هذا ، لأمكن أن يقوى إيمانك ، لأنك ستكون علاقة مع الله وتحدث معه بدالة بلا خوف ، فتتوطد صلتك به .

كثيرون ينظرون إلى الرب كمجرد إله أو سيد . ولكن هل نظرت إليه أيضاً كصديق ومحب ، تثق به وبمحبتته وبإخلاصه لك . إنه يقرع على بابك ، ويطلب إليك أن تفتح له كصديق ، فيدخل ويتعشى معك وأنت معه (رؤ ٣ : ٢٠) . إن قيلت صداقة الله ومحبتته ، ستدخل في الإيمان الحقيقي ... تشاق إلى رؤياه كصديق ، وتحكى له أسرارك ، وتتمتع بعشرته ومحبتته ... وتحرص كصديق له ألا تخدش شعوره أو تغضبه . وهو نفسه سيكشف لك أسراره ، كما كشف لإبراهيم (تك ١٨ : ١٧) .

إن الله يريدك هكذا ، لأنه قال « لا أعود أسمىكم عبيداً ... بل أحبباء » (يو ١٥ : ١٥) ... إتخذه إذن كصديق أو كأب ، تؤمن بأبوته ومحبتته ، كما تؤمن بسلطانه وقدرته . تحدثه عن أسرارك ، ويحدثك عن أسراره .

من قصص الصداقة والصراحة مع الله ، مسح إيليا لأليشع نبياً . قال الرب يوماً لإيليا النبي العظيم إذهب « إمسح ياهو بن نمشى ملكاً على اسرائيل ... وامسح أليشع بن شافاط ، نبياً عوضاً عنك » (١ مل ١٩ : ١٦) . لم يقل إيليا : حسناً يارب أن أمسح ياهو ملكاً . ولكن كيف أمسح نبياً عوضاً عنى ؟ وهل استغنيت عن خدماتي ؟ هل يحدث هذا بعد تعبي الكثير من أجلك ، وبعد وقوفي ضد آخاب الملك وزوجته إيزابل ، وبعد تخليصي البلاد من كل أنبياء البعل وأنبياء السواري ؟ ... هل تغيرت محبتك لي ؟ !

لم يقل شيئاً من هذا ، ولم يشك في محبة الله ، بل فعل كما أمره ، واثقاً من محبة الله ومن حكيمته . بل اعتبرها دالة وصداقة بينه وبين الله ، بها يشركه الله معه في تنفيذ الخطة الإلهية ، حتى لو كان منها مسح نبى عوضاً عنه . فهذا لا يدل على أن الصداقة بينه وبين الله قد انتهت أو نقصت .

بدليل أن الله رفعه إليه إلى السماء في مجد (٢ مل ٢ : ١١) . وبدليل أنه

ظهر معه بعد زمن على جبل التجلى يتحدث إليه (٩ : ٤) . إنها الحبة التي يصارح بها الله ، حتى في الأمور التي تمسه . وكان مسح نبي عوضاً عنه ، متقدمة لترقيته إلى حالة أفضل ، هي أعظم من نبي ...

٩ - صلاة لأجل الإيمان :

أطلب من أجل إيمانك في صلاتك ، لكي ينمو ويزداد .
قل له : إعطني يارب أن أؤمن بك الإيمان كله . إعطني أن أحبك وأثق بك في كل شيء ، وأؤمن أنك تفعل بي خيراً مهما كانت الدنيا مظلمة أمامي . إشعرنى بأن عقلي أصغر بكثير من أن يفهم حكمتك وأحكامك . أنا أعرف أنك صانع الخيرات ، وأنتك محب ، وأنتك ترى كل شيء ، وقادر على كل شيء . ومع ذلك كثيراً ما أضعف ... فأعز ضعف إيماني ...

الفصل التاسع

ما يَضَعُ الأَيْمَانَ

الشیطان يعمل باستمرار ، وبكل جهده ، على إضعاف إيمان المؤمنین .
ويحاول هو وأعوانه أن يضلوا ولو أمكن المختارين أيضاً» (متى ۲۴ : ۲۴) . ولا
يكفى هؤلاء مجرد إضعاف الإيمان ، بل يحاولون أن يوصلوا فريستهم حتى إلى
الإرتداد . وهكذا في آخر الأيام یرتد كثيرون عن الإيمان «تابعين أرواحاً مضلة
وتعاليم شياطين» (۱ تي ۴ : ۱) . وما أخطر قول الكتاب في المجيء الثاني للمسيح
«ولكن متى جاء ابن الإنسان ، أعله يجد الإيمان على الأرض؟!» (لو ۱۸ : ۸) .
فا هي وسائل الشيطان في إضعاف الإيمان ؟ إنها كثيرة : بعضها عنيف جداً .
وبعضها هادىء قد لا يحسه أحد :

۱ - الذات :

كثيراً ما تقف الذات ضد الله ، وترفضه لأنه ضد رغباتها الخاطئة :
تشرع الذات أن الله يحد حريتها ، التي تشتى أشياء لا يوافق الله عليها . فلكي
تتمتع بهذه (الحرية) أو بهذا التسبب ، تنفصل عن الله ، كما انفصل الابن الضال
عن بيت أبيه (لو ۱۵ : ۱۱ - ۱۴) ، لكي ينفق ماله حسب هواه... أو ترفض الله .
ولعل الوجوديين الملحدین من أمثلة الراضين لله . وهؤلاء صار شعارهم هو :
من الخير أن الله لا يوجد ، لكي أوجد أنا ...

وهؤلاء قد أخطأوا فهم المعنى الحقيقي للوجود ، والمعنى الحقيقي للحرية . فليست
الحرية هي أن يفعل الإنسان ما يشاء ، فقد تكون مشيئته خاطئة . إنما الحرية
الحقيقية هي أن يتحرر الإنسان من كل شيء يشينه... يتحرر من العادات الرديئة
التي تستعبده ، ومن الشهوات الدنسة التي تنجسه . ويتحرر من سيطرة المادة عليه ،
هذه التي تمنع روحه من إنطلاقها ومن العشرة مع الله التي هي الوجود الحقيقي ...
ومن معوقات الذات للإيمان ، رغبة الإنسان في الشعور بذاته ، في القوة والعظمة
والكبرياء... وهنا يرى الله منافساً له ...

وهكذا وجد هيرودس أن مولود بيت لحم سينافسه الملك ، فرفض الإيمان

به، وحاول أن يتخلص منه بقتله... وكان من أمثال خيرودس أيضاً، الكتبة والفريسيون، الذين رأوا أن المسيح قد أخذ مكانتهم وشعبيتهم كمعلم. فقال بعضهم لبعض «أنظروا، إنكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو ١٢: ١٩). ومن أجل الذات أيضاً رفض كل هؤلاء الإيمان بقيامة المسيح، لئلا تكون دليلاً يجلب عليهم دم ذلك البار (أع ٥: ٢٨)... إن الذات من أكبر معرفلات الإيمان، لذلك قال الرب:

« من أراد أن يتبعني ، فليترك ذاته ... » (متى ١٦ : ٢٤) .

وقال أيضاً « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل يبيدها » (متى ١٠ : ٣٩) . وهكذا نجد أن القديس بولس الرسول، من أجل الإيمان يقول « لست أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي » (أع ٢٠ : ٢٤)، « بل أرى أنني أحسب كل شيء أيضاً خسارة، من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى، الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح وأوجد فيه » (فى ٣ : ٨، ٩). فهل أنت كذلك؟ أم...

هل إيمانك يتعطل بسبب ذاتك ؟ بسبب رغباتك وغرائذك وأفكارك وشهواتك ؟!

هل هناك تعارض بين الله وذاتك ؟ إن كان كذلك ، إنكر ذاتك . قاومها . إنتنصر عليها . لأن مالك روحه خير من مالك مدينة (أم ١٦ : ٣٢) .

إن الكتبة والفريسيين والكهنة والشيوخ ، كانوا يحرصون على ذاتهم حرصاً خاطئاً . كانت فى ذات كل منهم عيوب ، وكان المسيح يكشفها ، حتى دون أن يتكلم عنها . بمجرد المقارنة تنكشف . لذلك كانوا يكرهونه ، ولم يؤمنوا به ، لأنه نور يهتك ظلمتهم ... ووقفت ذاتهم - التى تود أن تتغطى - عقبه فى طريق إيمانهم .

لا ننس أن الشيطان نفسه ، كانت ذاته سبباً فى ضياع إيمانه .

وذلك حين فكر كيف تكبر هذه الذات ... كيف يصعد إلى السموات ، ويرتفع فوق كواكب الله ، ويصير مثل العلى (اش ١٤ : ١٤) . فوقفت (عظمة) ذاته ضد الإيمان بالله . أما الملائكة الأطهار فاحتفظوا بمكانتهم ، لأنهم فى إيمانهم بالله حسبوا أنفسهم «خدامه العاملين مرضاته» (مز ١٠٣ : ٢١) .

كثيرون أنفسهم جميلة في أعينهم . ذاتهم هي صنمهم .
يمنعهم عن حياة الإيمان : محبة الذات ، والإعتداد بالذات ، والرغبة في تكبير
الذات ، وتضخيم الذات ، وتحقيق شهوات الذات ، والهروب من كل من يكشف
هذه الذات أو يظهر مساوئها... وهكذا يريدون أن تحيا ذاتهم في جو من التذليل
والمجاملة والمدح . يتضايقون من كل كلمة صريحة ومن كل تأنيب وكل تأديب .
فكيف يمكنهم أن يحيوا في الإيمان؟!
إن كنت كذلك أصلح ذاتك لكي تتضع أمام الله ، فتحيا في الإيمان ...
كذلك من الأمور التي تضعف الإيمان :

٢ - سيطرة الخواس :

وفي هذا وقع القديس توما الرسول ، حينما رفض الإيمان بقيامة الرب ، وقال
«إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع أصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في
جنبه، لا أؤمن» (يو ٢٠ : ٢٥) وقد تنازل الله لضعف توما، وسمح له أن
يتأكد بجواسه قائلاً له «ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً»، ووبخه قائلاً «لأنك
رأيتني ياتوما آمنت؟! طوبى للذين آمنوا دون أن يروا» (يو ٢٠ : ٢٧ ، ٢٩) . هذا
الذي يبصره الإنسان ، نسميه عياناً لا إيماناً . ولكنه قد يؤدي إلى الإيمان ...

أهذا إيمان ضعيف ؟ هناك ما هو أسوأ : أى الذى يرى ولا يؤمن .
مثال ذلك : الكهنة الذين رأوا القبر الفارغ ولم يؤمنوا بالقيامة . والكتبة
والفريسيون الذين رأوا معجزات المسيح كشفاء المولود أعمى وإقامة الموتي ولم يؤمنوا .
هؤلاء رافضون للإيمان لأسباب في قلوبهم . وينطبق عليهم قول أبينا ابراهيم لغنى
لعازر «ولا إن قام واحد من الموتي يصدقون» (لو ١٦ : ٣١) .

٣ - إخضاع الإيمان للعقل :

وقد قلنا قبلاً إن العقل له حدود لا يتعداها ، وإن الإيمان مستوى أعلى منه .
ولكن هناك أشخاصاً يريدون أن تعى عقولهم اللا محدود، والمعجزات ، وما هو فوق
إدراكهم ، وإلا فإنهم يرفضون كل هذا!... يريدون أن تخضع اللاهوتيات كلها
للفحص العلمى... وهذا غير ممكن منطقياً . وليس من العقل ، أن يخضع غير المحدود

للعقل ، الذى هو محدود !

ولعل من أمثلة هذا فى إيماننا ما يعرف فى بعض المعاهد باسم علم اللاهوت الجديد **New Theology** حيث يريدون إخضاع الوحي والمعجزة للبحث العلمى البحت ، أو لمجرد التفسير الرمزي . وهذا ينكرون كثيراً من المعجزات ومن قصص الكتاب ، ويدخلونها فى علم الأساطير **Mythology** !! حقاً إن العقل يضل ، إذا حاول أن يرتشى فوق ما ينبغى له أن يرتشى (رو ١٢ : ٣) . وهذا ينحرف عن الإيمان ، ويحاول أن يقود غيره فى نفس الإنحراف .

٤ . معايشة الشاكين :

كما أن معايشة رجال الإيمان تقوى الإيمان ، كذلك معايشة الشاكين تغرس الشك فى العقول والقلوب ، إن كانت بجاومة ، أو من النوع العميق التأثير ، أو كان المستوى الخاضع للشكوك أقل فى المعرفة أو المستوى العقلى ، أو كان غير عميق فى الإيمان .

وهذا فإن الكتاب يمنع من مخالطة المنحرفين فى إيمانهم وفى أفكارهم .

يقول القديس يوحنا الرسول « إن كان أحد يأتىكم ولا يجيء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة » (٢ يو ١٠ ، ١١) . وهكذا منعت الكنيسة الخلطة بالهرطقة والمبتدعين ...
وكم من أناس خالطوا جماعات غير مسيحية مثل شهود يهوه والسبتيين ، فكانت النتيجة أنهم انحرفوا فى تياراتهم . وكم من أعضاء فى الكنيسة خالطوا طوائف غريبة أو ملحدين ، فتأثرت معتقداتهم بهم إلى حد بعيد .

وحق من جهة السلوك والروحيات ، مخالطة الشاكين تضعف الإيمان :

قد تحدث لك تجربة أو مشكلة وتقبلها فى إيمان ، وتسلم الأمر لله شاكراً إياه على كل حال . ثم يزورك شخص قليل الإيمان ، فيظل يشرح لك خطورة الموضوع ، ويخيفك جداً من نتائجه ، حتى تفقد سلامك القلبى ، ويضعف إيمانك فى حفظ الله وتقلق ...

لذلك كن حريصاً جداً فى اختيار من تعاشرهم وتختلط بأفكارهم .

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى تضعف الإيمان وهى :

٥ - الإنقياد وضعف الشخصية :

من هذا النوع ، مريم المجدلية : لقد رأت القبر الفارغ ، وسمعت بشارة الملاك ، بل إنها رأت السيد المسيح نفسه بعد قيامته ، وأمسكت بقدميه ، وسمعت صوته ، وكلفها برسالة... ولكنها مع ذلك قالت ثلاث مرات «أخذوا سيدي ، ولست أعلم أين وضعوه» (يو ٢٠ : ٢ ، ١٣ ، ١٥) . وفي هذا إنكار للقيامة . فما السر في هذا التحول ؟ وكيف ضعف إيمانها بعدما رأت المسيح وكلمته ؟ (مر ١٦ : ٩ ، مت ٢٨ : ٩) كانت المجدلية صغيرة في سنها . وقد ضعفت شخصيتها أمام الشائعات التي نشرها كهنة اليهود ضد القيامة . كما ضعفت أمام عدم تصديق التلاميذ أولاً للقيامة (مر ١٦ : ١١ ، ١٣ ، ١٤) . فبدأت تلعب بها الشكوك والأوهام ، ورددت بفمها ما سمعته من شائعات .

لم يستطع إيمان المجدلية أن يصمد أمام الشائعات وكلام الناس ... فاهتزت من الداخل بسبب التأثير الخارجي الضاغط ، وانقادت إليه ... ! وكثير من الناس يهتزون من الداخل ، ويتحولون عن إيمانهم الأول ، عقيدة أو سلوكاً ، بسبب استهزاء الناس . وبسبب أن شخصيتهم أضعف من أن تصمد .

إن الله يريد أن تكون شخصياتكم قوية . وكما يقول الرسول :
مستعدين كل حين ، لإجابة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم » (١ بط ٣ : ١٥) . إن أولاد الله لا يليق بهم أن يكونوا ضعفاء ، من النوع الذي يهتز إيمانه ، أو تهتز روحياته ، وينقاد لأي فكر خارجي . بل إنهم يعملون بقول الرسول «إذن يا إخوتي الأحباء ، كونوا راسخين غير متزعزعين ...» (١ كو ١٥ : ٥٨) .

أيضاً من النوع الذي تحول عن إيمانه بسبب الإنقياد : أمنا حواء . فالكلام الذي سمعته من الحية ، جعلها تتحول عن إيمانها ، وينتهي الأمر بطردها من الجنة !

ما أكثر الذين ينقادون وراء الشائعات ويصدقونها . وما أكثر من يرددون كلاماً عن الجيء الثاني ويصدقونه الناس . ويقولون إن (المسيح الدجال) Anti Christ قد وُلد ، وأنه في ولاية بأمریکا ، وأن عمره الآن ١٧ سنة !! وأن العالم سينتهي في هذه

السنة أو غيرها!! وما أكثر التواريخ التي حددها شهود يهوه والسبتيون عن المجيء الثاني ، ولم يتم منها شيء...

وقد يضعف إيمان البعض وينقادون وراء من يدعى الرؤى والأحلام .
ويظنون أن ما يدعيه من الرؤى والأحلام ، كلها حقيقية ومن الله ! ثم ينخدعون بما يقوله من كلام ، ولو ضد معتقداتهم أو مبادئهم الروحية . ولقد حذر الرب من هؤلاء منذ أيام موسى النبي فقال :
« إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً ، وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها ، قائلاً : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها . فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم . لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم... » (تث ١٣ : ١-٣) .
إن الإنقياد من الأسباب التي تضعف الإيمان . وكذلك من أسبابه :

٦ - الخوف :

الخوف يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يؤدي إلى الخوف .
القديس بطرس ، الرسول العظيم ، لما خاف أنكر المسيح ، وسب ولعن وحلف أنه لا يعرف الرجل (متى ٢٦ : ٧٤) . وهكذا ضعف إيمانه . بل قال له المسيح قبلها « طلبت من أجلك لثلاثين يوماً » (لو ٢٢ : ٣٢) .
وكثيرون فقدوا إيمانهم بسبب خوفهم . ولهذا فإن سفر الرؤيا وضع الخائفين في مقدمة الهالكين فقال « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون... فنصيبتهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) . ووضع الخائفين قبل غير المؤمنين ، ربما المقصود بها الخائفين الذين بسبب خوفهم يصيرون غير مؤمنين .
بيلاطس البنطي ، كان مؤمناً في أعماقه أن يسوع الناصري بريء من التهم التي ألصقتها به اليهود . وكان واثقاً أنهم أسلموه حسداً . وقد حاول أن يطلقه . وقال عنه « هذا البار »... ولكنه أخيراً استسلم لضعفه ، وأسلم المسيح للصلب ، إذ خاف أن يقال عنه إنه ضد قيصر...

أما الإنسان الروحي ، فهو لا يفقد إيمانه إطلاقاً ، لأنه لا يخاف ...
ومن الأمور التي تضعف الإيمان أيضاً :

٧ - الشهوة :

كثيرون فقدوا إيمانهم بسبب الشهوة . ولعل من أمثلتهم ديماس مساعد بولس الرسول في الكرازة والتبشير، الذي قال عنه القديس بولس أخيراً « ديماس قد تركني ، لأنه أحب العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ١٠) . وعجبة العالم تضعف الإيمان ، لأنها عداوة لله (يع ٤ : ٤) .

ومن أمثلة الذين فقدوا إيمانهم بسبب الشهوة : الشاب الغني ...
هذا ترك المسيح « ومضى حزيناً لأنه « كان ذا أموال كثيرة » (متى ١٩ : ٢٢) . إذن شهوة المال يمكن أن تضعف الإيمان :
وما أكثر الذين تركوا المسيح من أجل امرأة أو منصب ...
شهوة النساء ضيقت إيمان سليمان الحكيم ، أحكم أهل الأرض ...
وذلك أنه « أحب نساء غريبة » (١ مل ١١ : ١) . وكان في زمان شيخوخة سليمان و أن نساءه أملن قلبه وراء آهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتاروت الهة الصيغونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عينى الرب ... » (١ مل ١١ : ٣ - ٦) ... إلى هذا الحد سقط هذا الحكيم العظيم ، ولو أننا نؤمن أنه تاب في أواخر أيامه . وكان سفر الجامعة من دلائل توبته .

وشهوة المال أضاعت إيمان حنانيا وسفيرا ، فهلكا .
فوقما في « الكذب على الله » (أع ٥ : ٤) ، وأيضاً في « تجربة روح الرب » (أع ٥ : ٩) . ومات الإثنان هالكين ...
وشهوة المال أيضاً ضيقت إيمان بلعام . وكان نبياً وله نبوءات جميلة عن المسيح (عدد ٢٢ - ٢٤) . وأخيراً وقع في ضلالة لأجل أجره الإثم » (٢ بط ٢ : ١٥) . وهكذا كان معثرة لكل الشعب ، وعلم بالاق طريق الخطية (رؤ ٢ : ١٤) ... فهلك وأهلك غيره ...

وشهوة العظمة والتقدم على الآخرين ، أضاعت إيمان كثيرين :
لعل من بين هؤلاء « ديوتريفس » الذى كان « يجب أن يكون الأول » .
لذلك قاوم القديس يوحنا الحبيب ، وطرد إخوة كثيرين من الكنيسة (١٠ يو ٣) .

وشهوة الألوهية ضيقت إيمان كاروب عظيم ، فتحول إلى شيطان ، وكان
من قبل ملاكاً من نور ، له بهاء ومجد ...
إن الشهوات من أكبر الأمور التى تضعف الإيمان أو تضيعة .
ومن الأسباب التى تضعف الإيمان ، الضيقات وضغط الظروف الخارجية .

٨ - الظروف الخارجية :

ولعل من أمثلة هذا الأمر جدعون لما ضعف إيمانه فى عناية الله : قال له الملاك
« الرب معك يا جبار البأس . فقال له جدعون : أسألك يا سيدى إذا كان الرب
معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه (البلايا) ؟ وأين كل عجائبه التى أخبرنا بها آباؤنا ...
والآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان » (قض ٦ : ١٢ ، ١٣) .

وهكذا قد تضعف الإيمان الضيقة إذا طالت ، أو إذا اشتدت .
التلاميذ لما اشتدت عليهم الأمواج فى السفينة ، ضعف إيمانهم وشكوا قائلين للرب
« أما يهيك أننا نهلك » (مر ٤ : ٣٨ - ٤٠) .

وبنو اسرائيل لما طالت بهم المدة فى عبودية فرعون ، صغرت نفوسهم وضعف إيمانهم
فى الخلاص (خر ٤ : ١) .

هناك سبب خطير آخر يسبب ضعف الإيمان ، وهو :

٩ - ضلالات الشياطين :

ومن هذه الضلالات : الرؤى الكاذبة . فإن الشيطان - لكى يخدع البشر -
يستطيع أن « يغير شكله إلى شبه ملاك نور » (٢ كو ١١ : ١٤) . بل يستطيع أن
يقدم عجائب كاذبة كما قيل عن المقاوم ضد المسيح فى آخر الزمان « الذى يحىه بعمل
الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين »
(٢ تس ٢ : ٩ ، ١٠) . وقال الرسول إن كل هذا سوف يسبب الإرتداد قبل مجيء

المسيح (٢ تس ٢ : ٣) ، أى ضياع الإيمان بسبب هذه الضلالات الشيطانية التي تخدع الناس .

إن الشيطان قد يخدع الناس بأحلام ونبوءات كاذبة ، وبأفكار ضلالات وبدع ، لكي يحطم الإيمان في قلوبهم ... بل قد يرسل إليهم «مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة . ويعطون آيات عظيمة وعجائب (متى ٢٤ : ٢٤) . وقد يقول لهم هذا هو المسيح . ولذلك سبق الرب فأنذر وقال «إن قال لكم أحد : هوذا المسيح هنا أو هناك ، فلا تصدقوا» (متى ٢٤ : ٢٣) .

وكل هذا يحتاج إلى إفراز ، وكما قال الرسول « لا تصدقوا كل روح . بل إمتحنوا الأرواح هل هي من الله . لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم » (١ يو ٤ : ١) .

ومن الأشياء الأساسية التي تحارب الإيمان :

١٠ - الشك :

الشك يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يولد الشك ...

تماماً كما قلنا عن الخوف . وكلاهما يسبب الآخر ، أو ينتج عنه .

أ - وكان الشك من الحروب التي حارب بها الشيطان أبويننا الأولين ليضيع إيمانها . فقال لها «أحقاً قال لكما الله ... !؟ كلا ، لن تموتا» (تك ٣ : ١ - ٤) .

فإن حاربتك الشكوك من جهة وجود الله أو بعض العقائد الأساسية ، فلا تخف . هذه محاربات من العدو ، وليست إنكاراً منك للإيمان . وبخاصة إن كان قلبك رافضاً لها . لذلك في مثل هذه الحالات يجب أن تصلى لكي يرفع الرب عنك هذه الحروب . وأن تغير مجرى تفكيرك ، بأن تنقل أفكارك إلى موضوع آخر تنشغل به .

أما إن كانت الشكوك منك ، وأنت مقتنع بها ، فعليك أن تعالجها بفهم إيماني سليم ، بسؤال المتخصصين في اللاهوت ، وبقراءة الكتب المفيدة في موضوعك .

على أن هناك حروباً أخرى للشك أخف من هذه ، نذكر منها :

ب - الشك في معونة الله ، أو في أن الله قد تخلى عنك .

إن الرب يوبخ على هذا الشك قائلاً « يا قليل الإيمان ، لماذا شككت » (متى

١٤ : ٣١). وهنا يربط بين الشك وقلة الإيمان . لأن الإنسان القوى الإيمان لا يمكن مطلقاً أن يشك في محبة الله ورعايته .

ولكن الضيقات الكثيرة المستمرة ، قد تضغط على القلب أحياناً فيقول : «لماذا يارب تقف بعيداً ، لماذا تختفي في أزمته الضيق» (مز ١٠ : ١).

إنه عتاب ، وليس ضعفاً في الإيمان . وقد يبدو للمرتل أن الرب يقف بعيداً . ولكنه يرقب بكل حب ، وبكل حرص على سلامة أولاده . كالنسر الذي يعلم فراخه الطيران ، وكالأب الذي يعلم ابنه العوم . يتركه قليلاً ليتدرب ويكتسب خبرة . ويرقبه بكل حرص . فإن رأى خطراً يحيق به ، يسرع إلى حمله وإنقاذه .

هناك أيضاً مثال الأم التي تعلم إنها المشى . فتركه ليقوم ويسقط وتشتد عظامه وتقوى عضلاته ويتعلم . أما إن كانت في كل صرخة منه ، تسرع وتحمله على كتفها فإنها بهذا ستضره . لأنه لن يتعلم ، ولن تقوى عظامه كما ينبغي ...

إن أزمته الضيق ، هي مدرسة لنا ، نتدرب فيها على الصلاة والتمسك بالله . ونتدرب فيها على الإيمان ، ونرى فيها كيف أن الله يعمل ، وبقوة ...
ويقيناً أن الله يعمل ، مهما كنت لا تراه ولا تلمس عمله .

إن الإنسان قد يشك إن نظر فقط إلى المتاعب ، وليس إلى الله . وهكذا نرى أن بطرس قد شك حيناً نظر إلى الماء الذي تحت قدميه ، ولم ينظر إلى المسيح الذي يمسك بيديه . وإذا هبط إيمان بطرس ، هبط هو أيضاً إلى الماء ، ولكن إلى لحظة ، وأنقذه الرب .

قد يكون أولاد الله « كحملان وسط ذئاب » ، ولكنهم لا يشكون ولا يخافون . فإدام الراعى الصالح وسط الحملان ، فلن تقوى عليهم الذئاب ولا حتى الأسود .

إن أبانا إبرام لم يشك في محبة الله وعنايته ، على الرغم من صعوبة الأمر الصادر إليه بتقديم ابنه اسحق محرقة . وكأنه يقول :

إن قلبي ليس أحسن من قلب الله على ابني إسحق ،
ولا أنا أستطيع أن أدبر مستقبل إسحق كما يدبره الله ،
فإدام الرب موافقاً على شيء ، فلا بد أن أوافق أنا عليه أيضاً بالضرورة ، لأنني

لست في حكمة الله ولا في محبته . لتكن إذن مشيئته .

إن الذي لا يشك ، يعيش دائماً في راحة وفي سلام .
يحيا دائماً مطمئناً ، لا تتعبه العوامل الخارجية . ولا يفرض على الله حلولاً معينة ،
يتضايق إن لم ينفذها الله ! بل هو يرضى بكل حل يأتي من عند الله حسب وافر حكمته
الإلهية .

ما أكثر المتاعب التي تولدها الشكوك في القلب وفي الفكر ... مثل القلق والخوف
والإضطراب وقلة المحبة . مجرد الشك نفسه هو تعب . نار تحرق ...
الشك يعالج بالثقة ويعالج بالحب . فمن يحب شخصاً لا يشك فيه . وهكذا
نحن مع الله ، لا نشك فيه ، لأننا نحبه ونثق به . وإيماننا به لا يسمح لنا مطلقاً أن نشك
في معاملاته الإلهية لنا ، وفي معاملاته الأبوية لنا . مبارك هو في كل ما يعمله .

إن الإيمان يقتل الخوف والشك . والخوف والشك قد يقتلان الإيمان .
تمسك إذن بإيمانك ، لأنه هو العنصر الأقوى ، وهو العنصر المنتصر دائماً . حينئذ
سوف تحيا في فرح وسلام واطمئنان ، بلا خوف ، بلا شك ، كل أيام حياتك .

الفصل العاشر

اختبار الإيمان

هل أنتم في الإيمان

« جربوا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟
إمتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) .

هناك طرق كثيرة لاختبار الإيمان ، يمكن استنتاجها من كل ما سبق . ونريد أن نقول ههنا إن الرسول - في حياة الإيمان- لا يتكلم عن مجرد الإيمان، أى الاعتراف باسم الرب، وإنما يذكر بالتخصيص:

١ - الإيمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) :

إختبر إذن إيمانك بالمحبة حسبها شرحها الرسول في (١ كو ١٣) ... المحبة تتأني ، وتترفق ، ولا تحسد ، ولا تتفاخر ، ولا تنتفخ ، ولا تقبح ، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم... وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء» (١ كو ١٣ : ٤-٧) .

فهل توجد فيك كل هذه الصفات ، ليكون إيمانك سليماً ؟ لقد قال الرسول « إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليست لى محبة ، فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . بهذه المحبة يمكنك أن تختبر إيمانك ... بل إنك تختبر الإيمان بالأعمال عموماً .

٢ - تختبر الإيمان بالأعمال عموماً :

ذلك لأن الرسول يقول « وأنا أريك بأعمالى إيمانى » (يع ٢ : ١٨) . فبالأعمال تختبر إيمانك هل هو إيمان حى أم ميت لأن « الإيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . والإيمان الميت لا يقدر أن يخلص أحداً (يع ٢ : ١٤) .

والقديس بولس الرسول أكثر من تحدث عن أهمية الإيمان ، نراه يقول : « يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه » (تي ١ : ١٦) . وفى رسالته الأولى إلى تيموثاوس يشدد كثيراً على هذه النقطة، فيقول إن «الذى لا يعنى بخاصته... قد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن» (١ تي ٥ : ٨) . وإن الأرامل اللاتى رفضن نذر البتولية قد «رفضن الإيمان الأول» (١ تي ٥ : ١٢) . وإن الذين يحبون المال، قد «ضلوا عن الإيمان» (١ تي ٦ : ١٠) . وإن

المهتمين بالكلام الباطل الدنس « قد زاغوا من جهة الإيمان » (١ تي ٦ : ٢١).

إذن سلوك الإنسان يمكن أن يكون اختباراً لإيمانه .

هوذا القديس يوحنا الرسول يقول « من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياہ ، فهو كاذب وليس الحق فيه » (١ يو ٢ : ٤) ، « من قال إنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذلك يسلك هو أيضاً » (١ يو ٢ : ٦) . وهذا نقول :

٣ - نختبر إيماننا بنقاوة القلب :

ولماذا ؟ لأن الذى يؤمن أن الله كائن أمامه ، وأن الله قدوس يكره الخطية ، وأنه عادل يجازى كل إنسان حسب أعماله ، هذا يخاف أن يخطئ أمام الله ، ويستحى أن يخطئ ، كما يستحى أن يجرح قلب الله المحب ، إن كان يؤمن بحبة الله .

هوذا الرسول يقول « كل من يخطئ ، لم يبصره ولا عرفه » (١ يو ٣ : ٦) .
يقيناً إن الذى يخطئ ، لا يكون فى فكره أثناء الخطية أن الله يرى ويسمع ويسجل ... ويقيناً إن الذى يظلم ، لا يكون مؤمناً تماماً أن هناك إلهاً موجوداً « يحكم للمظلومين » (مز ١٤٦ : ٧) . ولذلك إذا قيل لظالم « ربنا موجود » يخاف ويرتعش .

ويقيناً إن المتكبر ، أو المنتفخ بالمديح ، لا يشعر مطلقاً أنه قائم أمام الله . إن هيرودس لما خاطب الشعب ومدحوه قائلين « هذا صوت إله ، لا صوت إنسان » فابتهج بهذا المديح ، لم يكن عنده إيمان أن الله أمامه ، لذلك « ضرب به ملاك الرب ، لأنه لم يعط مجداً لله . فصار يأكله الدود ومات » (أع ١٢ : ٢١-٢٣) .
المؤمن الحقيقى يمكن اختباره أيضاً بالزهد وعدم اشتهاة الأمور التى فى العالم ، فالمؤمنون مكتفون بما هم فيه (فى ٤ : ١١) .

وبالنسبة لاحتياجاتهم ، لا يحتاجون على شيء ، ولا يحتاجون إلى شيء .
نقطة أخرى فى حياة الإيمان هى :

٤ - يُختبر الإيمان بما يمنحه من قوة :

هل لديك قوة الإيمان التى تشعر بها أن كل شيء مستطاع ؟

وكما قال الرب « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) . هل تشعر أن هناك شيئاً صعباً أو مستحيلاً ، أو لا يصدق إيمانك بأن الله يمكن أن يعمله ؟ هل تقف في شك أمام الأشياء التي تحتاج إلى معجزة ؟! هل يمكنك أن تقول كما قال القديس بولس الرسول « أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في ٤ : ١٣) . هل تهزك العقبات والصعوبات بحيث تقول « لا فائدة » ؟! هل يحاربك اليأس ؟

إن اليأس ضد الإيمان ، وضد الرجاء ، من كل ناحية . لا شك إن المنتحرين فقدوا إيمانهم ورجاءهم ، وشعروا أنه لا حل ، كما فقدوا الإيمان بحقيقة الحياة بعد الموت في الأبدية ومصير المنتحرين فيها .

وكذلك الذين استسلموا للأمر الواقع ، أو للضغوط الخارجية ، وخضعوا للخطية ، لم يؤمنوا إطلاقاً أن هناك قوة يمكن أن تسندهم وتخلصهم . إن الإيمان قوة لمن يستطيع أن يستخدمها في ثقة بلا شك .

أخشى أن يكون الإيمان في أيدي البعض كعصا أليشع في يد جيهزى (٢ مل ٤ : ٣١) . وأخشى أن يكون الصليب في أيدي البعض كذلك : يحسنون حمله ورشمه ، وليس الإيمان به . معهم الصليب وليست معهم قوته التي هي كامنة في الإيمان به وبعمله...

هل تظنون أن عصا موسى هي التي شقت البحر الأحمر ؟ أم هو إيمان موسى حامل هذه العصا ومستخدمها باسم الرب ؟

فهل لك قوة الإيمان التي كانت لموسى حينما ضرب البحر بعصاه ؟ إنك كثيراً ما تصلى . ولكن هل في صلاتك الإيمان الذي يعطى لهذه الصلاة قوة ؟ ما أعجب قول الكتاب حين قال عن إيليا إنه « صلى صلاة » (يع ٥ : ١٧) . وهذه الصلاة لم تكن عادية كصلوات باقي الناس ، إذ أنها استطاعت أن تغلق السماء مرة ، وأن تفتحها مرة أخرى ...

إختبر إيمانك إذن بالقوة التي لك نتيجة علاقتك بالله .

٥ - إختبار الإيمان في الضيقة :

الضيقات تحمل بكل أحد . ولكن هناك فرقاً كبيراً بين المؤمن وغير المؤمن في الروح التي تُستقبل بها الضيقة .

إن كانت الضيقة تفقدك سلامك ، فاعرف أن إيمانك ضعيف .

المؤمن يستقبل الضيقة مؤمناً أنها للخير ، وأن الله سيحلها . فلا يتضايق في داخله ، ولا يضطرب ، ولا تنشغل أفكاره بها ، ولا يتعب قلبه بالحزن والألم . إنما يواجه الضيقة بثلاث آيات هي « كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب » (رو ٨ : ٢٨) ، و « إحسبوه كل فرح يا إخوتي ، حينما تقعون في تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) . وأيضاً « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) . وهذا الإيمان يفرح قلبه في الضيقة ، ويتعزى الناس بفرحه .

المؤمن يضع الله بينه وبين الضيقة ، فتختفي الضيقة ويظهر الله .

ويذكر يد الله التي كانت مع القديسين في كل ضيقاتهم « وملاك حضرته خلصهم » (اش ٦٣ : ٩) . يذكر ما حدث لموسى ويوسف وداود وأيوب ودانيال وللثلاثة فتية . وكل هذه الذكريات تزيد إيماناً بالله وثقة في تدخله وعمله . وهكذا لا يتزعزع في الضيقة ، ولا يشك ولا يحزن ولا يحملهما ... بل يقول مع المرتل « نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا ، عوننا من عند الرب الذي صنع السماء والأرض » (مز ١٢٤) .

يقول للرب : مادمت أنت موافق على الضيقة ، فأنا أفرح بها .

ليس فقط أقبلها ، أو أرضى بها ، إنما أحسبه كل فرح أن الرب يعطيني بركة هذه الضيقة ... ما أجل ما قيل عن الآباء إرسل بعد أن جلدوهم « وأما هم فذهبوا فرحين ... لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه » (أع ٥ : ٤١) .

المؤمن مهما بدت كل الأبواب مغلقة ، يرى باب الله مفتوحاً .

إنه يؤمن بالله ، الذي بيده مفاتيح السماء والأرض « الذي يفتح ولا أحد يغلق » (رؤ ٣ : ٧) . ويرتل هذا المؤمن مع القديس يوحنا الرائي قائلاً « بعد هذا نظرت ، وإذا باب مفتوح في السماء » (رؤ ٥ : ١) . بل إختبار الإيمان بأن ترى

جميع الأبواب مفتوحة أمامك . وكلما ترى أمامك باباً مغلقاً ، تقول : ليس هذا هو الباب الذى يريدنى الله أن أدخل منه . هناك أبواب أخرى كثيرة مفتوحة عند الله . وهناك أبواب مغلقة الآن سيفتحها فيما بعد... وهذا الإيمان تستريح .

٦ - إختبار الإيمان ببعض الوصايا :

أ - من الوسائل التى يُختبر بها الإيمان : العشور أو العطاء عموماً . وبخاصة إذا كان هذا المؤمن محتاجاً ، أو مطلوب منه أن يعطى من أعوازه . ضعيف الإيمان يقول « إن كان المرتب كله أو الإيراد كله لا يكفى ، فكيف يكون الحال إن نقص أيضاً عشره؟! » . أما المؤمن فإنه يقول : إن إعطائى العشور، يجعل الباقى مباركاً فيكفى ويزيد...

إن العشور إختبار روحى عرضه الرب نفسه فى سفر ملاخى فقال : هاتوا جميع العشور... وجربونى بهذا ، قال رب الجنود : إن كنت لا أفتح لكم كوى السماء ، وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع... (ملا ٣ : ١٠) . فإن كان الشخص - على الرغم من هذا الوعد الإلهى - لا يدفع ، فلا شك أن إيمانه يكون ضعيفاً فى وعد الله وفى بركته . وقبل ذلك فى وصيته...

إن كان هذا فى العشور ، فإذا عن وصيته : من سألك فاعطه ؟ (متى ٥ : ٤٢) . وماذا عن وصية «إذهب بع كل مالك واعطه للفقراء» (متى ١٩ : ٢١) . وماذا عن وصية «بيعوا أمتعتكم [أو مالككم] واعطوا صدقة» (لو ١٢ : ٣٣) ؟

هذا يختبر إيمانك : هل الله قادر أن يعولك بما يبقى بعد دفع نصيب الفقراء؟ وأيضاً هل هو قادر أن يعولك دون أن تكنز لك كنوزاً على الأرض (متى ١٩ : ٦) .

ب - من الوصايا التى يختبر بها الإيمان أيضاً : حفظ يوم الرب . هل أنت تفرح بيوم الرب الذى تقضيه مع الرب ؟ أم أنت تفضل عليه مشغوليات أخرى عديدة ؟ هل أمورك العالمية أهم فى نظرك ؟ وهل تأجيلها أمر لا تحتمله ولا تستطيع ترتيبه بتنظيم وقتك ؟ إنه إختبار لإيمانك .

ج - وكذلك من الإختبارات الهامة : مدى محبتك للصلاة :

هل تنساها وتمر عليك أوقات كثيرة لا تصلى فيها ؟ وهل إذا وقفت للصلاة ، تفكر كيف تنتهى منها لتتنشغل بأمر آخرى تهتمك بالأكثر؟ وهل أثناء صلاتك تسرح فى أمور أخرى ، وتنسى أنك واقف أمام الله تخاطبه؟ إن كنت كذلك فلا يكون إيمانك قوياً بالله وبعشرته وبلذة الحديث معه... وهكذا إن وضعنا باقى أمور الصلاة ، وباقى بنود العمل الروحى ، لتكون مجالاً لاختبار إيمانك .

٧ - إختبر إيمانك بمدى اهتمامك بأبديتك :

هل أنت مركز كل فكرك بقلبك فى هذا العالم الحاضر ، ومدى نجاحك فيه ، ومدى تمتعك به ؟ أم أنت تهتمك بأبديتك ، وهمك مصيرك فى العالم الآخر ، وتعدى العدة لتلك الحياة كما يقول الرب «لكن أحقاؤكم ممنطقة ، ومصايحك موقدة . وأنتم تشبهون أناساً ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس ، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت . طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو ١٢ : ٣٥-٣٧) .

إن السهر الروحى إختبار عميق للإيمان .

أما الغافل عن أبديته ، فأين هو إيمانه ؟! أين إيمانه بالحياة الأخرى ، والإستعداد لها بالتوبة والعمل الصالح ، وبعشرة الله ومحبهه ، وبالزيت جاهزاً فى مصباحه... ؟!

٨ - إختبر إيمانك بصحة العقيدة :

هل هو إيمان سليم بعيد عن البدع وأخطاء العقيدة ، وعن المفاهيم الخاصة؟ وهل هو «الإيمان المسلّم مرة للقديسين» (يه ٣) . الذى أودعه الرسل أناساً أمناء كانوا أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً (٢ تي ٢ : ٢) . وهل هو موافق لكل تعليم الكتاب ، أم تتبع فيه أناساً يعلمون فكرهم الخاص ؟ بهذا إختبر إيمانك . أقول هذا لأن العقيدة لها تأثير عملى فى حياة الإنسان الروحية .

٩ - إختبر إيمانك بصفات الإيمان السليم :

هل إيمانك إيمان عملي ؟ هل هو ثابت لا تزعزعه الظروف ؟ هل هو لا يضعف ولا يشك ؟ هل هو مملوء بالسلام لا يعرف خوفاً ؟ وهل تعرف حياة التسليم وطاعة الإيمان ، وهل إيمانك إيمان حى مشمر ؟ وهل هو ينمو ويزداد ؟ وهل ...
لست أريد أن أذكر باقى صفات الإيمان لتتحنن بها نفسك .
إنما إن أردت مزيداً من الموازين ، يمكن أن تعيد قراءة هذا الكتاب من أوله .

الكتاب المقبل

هناك ثلاثة كتب فى طريقها إلى المطبعة ، وإليك :

- ١ - كتاب « حروب الشياطين » وهو الجزء الأول من مجموعة (الحروب الروحية) .
- ٢ - كتاب الجزء الثالث من سنوات مع أسئلة الناس .
- ٣ - كتاب « الرجاء » وهو الجزء التالى لهذا الكتاب الذى بين يديك « حياة الإيمان » . وبعدهما كتب عن (المحبة) لتكمل المجموعة .

في علم الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله تلاميذ آتية

هل أنت في الإيمان ؟
هل تحيا حياة الإيمان الحقيقي ؟
وهل لك الإيمان المحلوس . الإيمان
لنفس المتسربة الذي يشعرك قلبك
يوماً بعد يوم . ؟

ما هو الإيمان إذن ؟
وما أهميته ؟ وما أثره ؟
وما هو الإيمان الصحيح ؟
وما سبب الإيمان من الظلم
وأجراً من الخيالات ... ؟
وما علاقة الإيمان بالفضائل ؟
وما هي حياة التسليم ؟
وما الذي يفوق الإيمان ؟
وما الذي يضعفه ؟

كل تقديراً الأمل وغيرها - محاولة
هذا الكتاب أن يحدث اهتماماً في
قسم من القراءات -
وتسعدنا نعلم هذا الكتاب إذا
يتبعك . ويكون كتاب (الرجاء) في
طريقه إلى الطبيعة .

لأنها سلسلة من « الإيمان
والرجاء والحمية » (١٤٣)

